محمدرضا الحکیم

قیس

ابن

سعد بن عباده

طهران - چاپخانه پاکتچی

محمد رضا الحكيم

قيس ابن سعد بن عباده

طبع على نفقة الفاضل الوجيه
* شالچی لـر *

١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

محتويات الكتاب

الاهـداء

اليك يا امير المؤمنين

اقدم هذا المجهود الضئيل فى سيرة تلميذك وقائدك وصاحبك الوفى سيد الخزرج، وكل ما ارجو رضاك وحسبى به جزاء وكفى

خادمك
محمـد رضـا
الحكيم

الطّليعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

قبل بضع سنين وانا فى آخر مرحلة من مراحل دراستى لعلم الاصول طافت فى راسى فكرة قد اجتمعت على تكوينها عدة عوامل لعل معظمها يعود الى ما نشاهده من وضعنا الفعلى الذى يأباه كل غيور وما وصل اليه مجتمعنا الحاضر - مع كل الاسف - من تفسخ الاخلاق وتفكك عرى الدّين ، وانحطاط المبدأ و تدهور العقيدة .

وكان حاصل هذه الفكرة أن أتناول بالبحث من ناحية اصلاحية سيرة بعض اماثل ابطال الاسلام من رجالات الصدر الاول واقدمه للناس ثمرة ناضجة فى كتاب واحد اوكتب متعددة تذكرة لمن شاء أن يذكر ولان فى سيرتهم مثلا عليا للفضيلة والكمال و ما احوجنا اليهما فى مثل هذه الايام التى طغت فيها المادة على كل شئ حتى كسدت سوق الاخلاق و بارت بضاعته .

وما برحت هذه الفكرة تطوف فى رأسى وهى تضعف حينا و تقوى احياناً تبعا للمقتضيات و الظروف الى أن اتاح الله لها العلامة المفضال الاستاذ الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضى فاختمرت على حرارة تشجيعه و عزمت - بتأثير تحريضه و الحاحه الشديد - على اصدار سلسلة كتب

ذات عشر حلقات فی سیرة عشرة اقطاب من اقطاب المسلمین کلهم من صحابة امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه افضل الصلاة و السلام ممن کان لهم فی رفع رایة الاسلام قدم ثابت وفضل عظیم مشکور عندالله و عند المسلمین لایعرف ناشئتنا ـ حفظهم الله ـ عن سیرتهم کثیرا ولاقلیلا .

ولست ادری علی التحقیق کیف اتفق لی أن اتصل بهذا الرجل الطیب الطاهر ، و کل ما ادری انی اتصلت به و اتصلت به اتصالا مؤکدا وثیقالا اعرف اتصالا بین الناس فی هذه الایام أکد ولا اوثق منه ، فکنت حریصاکل الحرص علی لقائه شدید الرغبة به کثیرالشغف با حادیثه دائما علی الحضور فی مجالسه ، وللعلامة المذکور مجالس ادبیة علمیة زاهرة قلما یوجد مثلها فی مدینة النجف الاشرف مدینة الادب والعلم یشهد بذلك الادباء والعلماء وما اکثرهم فی هذه البلدة الطیبة المقدسة .

و لعل تاریخ هذا الاتصال یرجع الی عهد بعید حین کنت فی منتصف طریق دراستی وکان لامناص للطالب الدینی من دراسة بعض کتب علم الاصول لانه ـ کمایقولون ـ العلم الذی یقع فی طریق استنباط الحکم الشرعی فکان من المحتم علی ان اجتاز هذه العقبة الکئداء للوصول الی هدفی الخاص، و لما کان الکتاب الدراسی المقرر فی علم الاصول للمتوسطین امثالی حینذاك هو کتاب ـ کفایة الاصول ـ لشیخنا علم الاعلام الشیخ محمد کاظم الاخوند قدس سره اضطررت بحکم الوضع الی دراسته ، وکتاب کفایة الاصول و ان کان کتابا جلیلا جدا فریدا فی بابه الا انه من صعوبة المعنی و تعقید اللفظ ونقص التأدیة بحیث یعسر فهمه الا علی ذوی الالباب ومن هنا کان الذین یتولون تدریسه غالباً من تلامیذ شیخنا المؤلف الاخوند ممن یستعین علی تدریسه بما حفظه عنه فی مجلس البحث واستفاده

من محاضراته واحاديثه، وهناك طائفة قليلة غير هولاء يستطيعون تدريسه ايضاً ولكنهم ممن تخرج في هذا الفن على ايديهم وهم لا يتجاوزون الخمسين مدرساً على الاكثر من بين مدرسي وطلاب جامعة النجف الكبرى الذين ربما أربى عددهم على اربعة آلاف طالب .

وجعلت اسئل معارفي و استطلع رأى اهل الفضل عن المدرس المنشود الذي يكفيني مؤنة هذا الكتاب و يحل لي الغازه العميقه وكله الغاز - فكان جوابهم تقريبا جوابا واحدا و كلهم يدلني على الاستاذ الطاهر ويرجحه لي بعضهم على بقية المدرسين من حيث حسن الالقاء وجمال التأدية .

وكانت شهرته العلمية قد سبقتهم الى بهذا التعريف وطرق ذكره سمعي مرارا كما طرق اسماع الاخرين فكنت اسمع به من حين لاخر كلما جاء ذكر الاساتذة المبرزين فذهبت اليه وكان هذا اول لقائي به حسب ما اذكر ورجوته أن يساعدني على مهمتي و يدرسني هذ الكتاب فامتنع بادي ذي بدء - وهذه عادته في كل شئ - ثم لبى رجائي اخيرا وشرعنا في الدرس حتى اتينا على آخره والحمد لله .

ومن ذلك الحين اخذا تصالي به يتوثق شيئا فشيئا و جعلت ازداد علاقة به كلما ازددت منه قربا فكنت تلميذا ثم تلطف علي فجعلني صديقا ثم تضاعف لطفه حتى صرت له اخا يستشيرني في قضاياه و مهامه ، وهكذا اصبح يغمرني بثلاثة الطاف و امسيت اعرف له علي ثلاثة حقوق حق الاستاذ وحق الصديق و حق الاخ وما اجلها من حقوق و اعظمها وفقني الله لادائها على ما احب .

عفوا ايها القارئ الكريم فقد اطلت الحديث عليك من حيث ادري

ولا ادرى و سحرنى هذا الرجل الطيب حتى جعلنى اخرج عن الموضوع خروجا ربما تضيق به صدور بعض الناس وكلما اردت ان اقوله انى عزمت بتنفيذ فكرتى عملياً بتأثير هذا الاستاذ ومن كثرة الحاجه الشديد على تنفيذها واصدار تلك السلسلة بين حين وآخر .

وقد استطعت بتوفيق الله وتسديده أن اصدر قبل سنتين اولى حلقات هذه السلسلة فى سيرة بطل المسلمين ـ مالك الاشتر ـ رضوان الله عليه ولم يكد يراه القراء حتى انثالت على كتبهم وكلها عطف ولطف و كلها ثناء ورضا الامر الذى هون على اتعابى فى سبيل جمع مصادره المتفرقة المتشتته ، و مالاقيت من عنت و غربة عند طبعه و تصحيحه فى بلد يبعد عن بلدى بمئات الاميال كهران .

والان اتقدم اليهم بالحلقة الثانية فى سيرة الصحابى الجليل سيد الخزرج ـ قيس بن سعد بن عبادة ـ وارجو أن تقع منهم ـ كما آمل ـ موقع الرضا و القبول .

والسر فى اختيارى هذه المواضيع هو أولا انها ـ فى رأيى ـ من انجع الوسائل لتقويم الاخلاق وتعديل الاود وبث الفضيلة فى نفوس النشأ الجديد ، والبلسم الشافى لعلة هذا المجتمع السقيم الذى يكاد أن يموت نقصا ويودى به الجهل و الفساد ، مع ان لكل واحد من هولاء الابطال حقوقا و حقوقا كثيرة جداً على كل مسلم و مسلمة يجب اداؤها مضاعفة لهم على كل حال ، لانهم اقرضوا الاسلام نفوسهم قرضاً حسناً و افنوها فى سبيله، على انى لم اعدم طالبا لها منى ومشيرا بها على الى حد الالحاح

و الاصرار .

هذا و عزمی علی اصدار حلقات هذه السلسلة الاخری متوالیةمتتابعة باسرع ما یمکننیمن الوقت مهماکلفنی الامر و ما توفیقی الا بالله .

سيد الخزرج

كان طويل القامة جداً - ١ - ممتدالقوام ، فارع القد ، جسيماً للغاية : عريضاً ما بين المنكبين . حسن الهيئة ، وسيم الطلعة ، جميل المحيّا ، كأن وجهه البدر ، أو كأن البدر وجهه المنير الوضاء .

---

١ - روى الديلمي في ارشاده فقال : كان طوله ثمانية عشر شبراً وذكرابوالفرج : انه اذا ركب الفرس المشرف - اى العالي جداً - خطت رجلاه في الارض . و روى الكشي في رجاله فقال كان قيس من العشرة الذين ادركوا النبي - ص - ممن كان طولهم عشرة اشبار بأشبار انفسهم وكان شبر الرجل منهم كذراع متوسط الخلقة وفي الكامل ذكرالمبرد : انه كان موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا و جمالا . منهم العباس بن عبدالمطلب و ولده ، و جرير بن عبدالله البجلي ، والاشعث بن قيس الكندى ، و عدى بن حاتم الطائي وكان أحد هولاء يستطيع أن يقبل المرأة على هودجها من غير تكلف حتى سموا مقبلوا الظعن .

ولا أدل على طول سيدنا قيس من خبر السراويل : وحاصله أن ملك الروم كتب الى معاوية بن ابى سفيان أن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا و يجهد بعضهم في ان يغرب على بعض أفتاذن في ذلك فاذن له معاوية فوجه ملك الروم اليه برجلين احدهما طويل جسيم والاخر شديد قوى فلما حضرا عند معاوية استدعى عمروبن العاص و قال له أما الطويل فقد أصبنا كفأه و هو قيس بن سعدبن عبادة ، و أما الاخر فقد احتجنا فيه الى رأيك ، فقال هاهنا رجلان كلاهما بغيض اليك محمدبن الحنفية . و عبدالله بن الزبير قال معاوية أدع من هو أقرب الينا على حال فأرسل عمرو على محمد فأحضره وأخبره بذلك و جلس معاوية مجلسا عاما حضره اكثر اهل الشام فلما اكتمل الحفل تقدم محمد الى ميدان المصارعة و تقدم له الرومي القوى

وكان خفيف العارضين -١- أصلع مهيباً موقرا ، تدل اسارير وجهه على شرف رفيع و نبل عريق ، و تكشف ملامحه ونظرات عينيه عن شجاعة

فقال له محمد اما أن تجلس لى وتناولنى يدك أو أجلس لك وأناولك يدى فاينا قدر على أن يقيم الاخر من مكانه فقد غلبه والا فقد غلب فماذا تريد تجلس أو أجلس انا فقال الرومى بل اجلس أنت فجلس محمد و أعطى يده للرومى فاجتهد الرومى بكل ما أوتى من قوة فلم يستطع أن يحركه من مكانه فاظهر العجز و اعترف به ثم قام محمد فقال للرومى اجلس لى فجلس له وأعطاه يده فما أمهله دون ان أقامه سريعا و رفعه عاليا فى الهواء ثم القاه على الارض فماج الحفل إعجابا بقوة محمد وسر معاوية سروراً عظيما . و تقدم الرومى الطويل فنهض اليه سيدنا قيس- وكان حاضراً فى الشام - فتنحى عن الناس و خلع سراويله و اعطاها للرومى فلبسها فبلغت الى ثدييه و أطرافها تخط فى الارض فانسحب الرومى خجلا مغلوبا وكان رجال من الانصار فى ذلك المجلس سائهم تبذل سيدهم قيس و خلع سراويله فى مجلس معاوية فعاتبوه فى ذلك فأنشأ فى جوابهم يقول

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لايقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادى نمته ثمود
و إنى من القوم اليمانين سيد ... و ما الناس إلاسيد و مسود
وبذجميع الناس اصلى ومنصبى ... و جسم به أعلو الرجال مديد

١ - روى جماعة من المؤرخين منهم المبرد فى الكامل : أنه كان سناطا حتى كانت الانصار تقول وددنا أن نشترى له لحية باموالنا. والسناط على مافسره المبرد أن يكون فى الذقن شيئى من الشعر ولا يكون فى العارضين فان لم يكن فيهما جميعا فهو - الثط - و روى ايضا جماعة آخرون منهم الخطيب البغدادى فى تاريخه عن سفيان قال: وكانت له لحية و أشار سفيان الى لحيته - و روى ايضا من وجوه أخر انه لم يكن فى بدنه ولا فى وجهه شعرة واحدة ابداً . وأصح الروايات فى نظرنا مارواه جماعة . قالوا وكان خفيف العارضين ·

و نخوة يفرق منها الشجعان، و يعز مثلها على الابطال المغاوير .

ولد أبو الفضل ـ ١ ـ سيدنا قيس فى المدينة فى بيت رفيع جـليل ، وانحدر من سلالة عربية خالصة لم تشبها شائبة الهجنة عريقة فى المجـد والسؤدد ، و تسلسل من صيد أباة و من سادة اصفياء نجباء كلهم نجابة . وكلهـم فخر و شرف ، فأبوه سعد ، و ما أدراك ما سعد ، سيدالخزرج فى الجاهلية والاسلام الذى قال فيـه النبى صـلى الله عليه وآلـه و سلم نعم المرء سعد بن عبادة ، الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا .

و امـه ، فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثـة . أما جـده فهـو عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيم بن ابى خزيمـة بن ثعلبة بـن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الاكبر بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقياء ـ ٢ ـ بن عامر ماء السماء ـ ٣ ـ بن حارثة بن امرء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن النبت بن مـالـك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان .

و يقول المؤرخون ان الخزرج الاكبر هو أول مـن انتقـل الى المدينة من الانصار و كان قبل ذلك ـ بماء غسان ـ وكان قد هاجر اليه عمرو مزيقياء من اليمن فراراً من سيل العرم . و يـذكر الرواة لهـذه

---

١ ـ يكنى اباالفضل وقيل أباالقـاسم وقيل أبا عبدالله و قيل اباعبدالملك .

٢ ـ لقب عمرو ـ بمزيقياء ـ لانه على ما يقول الانصار كان يـلبس فى كل يوم حليتين ويمزقهما لئلا يلبسهما أحد بعده .

٣ ـ و لقب ابوه عامر بماء السماء لجوده و سماحته و قيامه عندالجدب مقام الغيث

الهجرة أسباباً طويلة عريضة مجموعها أن عمرواً مزيقياء كان له أخ كاهن يدعى بعمران فرأى في كهانة أن قومه سيمزقون و يباعد بين اسفارهم و أن بلاده عائدة الى الخراب والدمار فأخبر أخاه عمرواً بذلك فأوجس عمرو في نفسه خيفة و لكنه نسي او تناسى ذلك على ممر الايام .

و بينما كان ذات ليلة نائماً مع زوجته طريفة ـ وكانت كاهنة ـ وثب مذعوراً على صوتها و قد استيقظت فزعة تصرخ و تصيح . فلما هدئت قليلا سألها عمّا بها فقالت ـ ياعمرو بن عامر ، الذى رأيت في الغيم أذهب عني النوم ، رأيت غيما أرعد و أبرق طويلا ثم صعق ، فما وقع على شيئى الا احترق ، فما بعده الا الفرق ، فتأمل كلامها عمرو و أطال التأمل فيه و قد رجع بذاكرته الى الماضي القريب وذكر قول أخيه عمران فارتاب كثيراً و خاف خوفا شديدا ما بعده خوف .

و لكنه ما عساه أن يفعل . فهو و إن كان ككل عربى حينذاك يعتقد بأ قوال الكهنة و تكهناتهم الا أنه بحكم منصبه الرفيع و بالنظر لسيادته العامة على عرب اليمن لا يستطيع أن يجهر بهـذا و يأخذ به كشيئى محتم الوقوع لامجال للشك في وقوعه و تحقيقه . فاضطر على السكوت و أخذ يتشاغل عنه بضروب العبث و اللهو و بالخروج الى حديقته الغناء التى أعدها ملجأ يلجأ إليه اذا ماهبت عليه زوابع همومه وعصفت بقلبه الاحزان .

و خرج يوماً الى حديقته و معه جاريتان له فسألت عنه زوجته طريفة فأخبرت بمكانه فقصدته ، و بينما هي في بعض الطريق و اذا بثلاث مناجد ـ١ـ منتصبات واضعات أيديهن على أعينهن فجلست طريفة على الارض و وضعت يدها من الخوف على عينيها حتى جزنها فقامت

١ ـ المناجد : دواب تشبه اليرابيع

و استأنفت سيرها فبلغت خليج الحديقة و همت لتعبره و اذا بها ترى سلحفاة و ثبت من الماء فوقعت فى الارض على ظهرها، و جعلت تروم الانقلاب مستعينة بيدها فلم تستطع فأخذت تحثو التراب على نفسها وتقذف بالبول من تحتها فارتاعت عند ذلك طريفة و جلست على الارض اعياء حتى عادت السلحفاة الى الماء ، ثم قامت و أسرعت فى السير الى الحديقة فدخلتها فرأت الشجر من غير ريح يتكفأ فتضاعف فزعها وأخذت تعدو و تعدو مسرعة حتى رآها عمرو فناداها عالياً .

ـ هلمى. هلمى يا طريفة

ـ تقبل عليه لاهثة تقول فى صوت متقطع ـ و النور و الظلماء ، والارض والسماء ، ان الماء لغاير ، و ان الشجر لهالك

ـ مستفزاً ـ ومن اخبرك بذلك

ـ اخبرتنى المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد ، وسلحفاة تحذف با التراب حذفا ، و تقذف بالبول قذفا ، و رأيت الشجر من غير ريح ولا مطر يتكفا

ـ بخوف و اهتمام ـ و ماترين ذلك

ـ داهية وكمية ، و امور جسيمة

ـ بعد تأمل قليل ـ أما اذا كان ذلك فلك الويل

ـ أجل ، و مالعمرو فيها من نيل

ـ يتكلف النشاط ـ ماهذا الذى تقولين الا أمر جليل ، و خلف قليل ، و اخذالقليل خير من تركه ، و لكن ما علامة ما تذكرين

ـ اذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر ، و يقلب بيده الصخر ، فاعلم أن قدوقع الامر

فنهض عمرو من الحديقة ومضى مسرعاً الى السد ـ وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الاكبر العادى ليمنع مأرب من طغيان المياه التي تجتمع فيه من ستين و اودياً ولتتفرق على قدر حاجتهم اليها ـ فلما قرب من السد رأى جرذاً تقلب بيدها و رجلها الصخرة التي ما يقلها ـ على ما يزعم الرواة خمسون رجلا غلاظا شدادا ، فرجع الى بيته و عزم سرا على بيع جميع ماعنده من الضياع و الا ملاك لينتقل الى مكان أمين يقيه شر هذا الخطر الداهم و ينجيه من سيل العرم الجبار .

و لكنه تحير ما يصنع . وكيف يستطيع بيع جميع أملاكه سرا ، فأملاكه كثيرة ، و أراضيه واسعة طويلة عريضة ، و ضياعه متعدده ، فهو يريد أن يبيعها جميعاً ، وهو يريد أن يبيعها سرا و بثمن جيد ، و هو يريد و يريد و ربما يستفز الناس من بيعها و ما به في علمهم الى المال حاجة ، و ربما يحس البعض بذلك ، بل ربما يحس الجميع بما عزم عليه و باع املاكه من أجله و عندها بوار أملاكه ، و عند ها الخسارة الكبرى فيفوته حتى القليل ايضاً .

هذا ما أهمه كثيراً . و هذا ما أقلقه و جعله يفكر و يفكر طويلا ، و اخيراً يتوفق الى الحل فينادى فتى يتيما كان قد رباه وزوجه و يسر اليه قائلا ـ اني سأعد وليمة كبرى يحضرها كثير من الناس فاذا جلست انا فاجلس أنت الى جنبي و نازعني الحديث و اردد عليّ بمثل ما أقوله لك و افعل بي كما أفعل بك ثم أمر باعداد مأدبة واسعة دعى اليها جميع أهل مأرب ، فلما حضر المدعوون جلس عمرو بمكانه فجاء الفتى و جلس الى جنبه فاختلق عمرو ما يكلمه به فرد الفتى عليه فأغلظ له عمرو ففعل الفتى كذلك ، فسبه عمرو فأكال له الفتى سباباً بسباب فضربه فأعاد الفتى

الضربة عليه فصاح عمرو . وا ذلاه ، اليوم ذهب فخر عمرو و مجده ، ثم حلف على قتل الفتى، فهاج الحاضرون و ماجوا ومازالوا بعمرو حتى تركه و قال والله لا اقيم ببلد صنع بى مثل هذا فيه أبدا ولأبيعن أموالى كلها و أرحل عنكم .

و تقدم جماعة من الا ثرياء المغفلين فاشتروا جميع ما يملكه من الضياع والاملاك فلما استلم عمرو منهم المال أخبرالناس بسيل العرم ثم خرج من مأرب وقد تبعه كثير من العرب حتى نزل بمن معه اخيراً بماء غسان .

و تفرق العرب بعد ذلك فانتقل الخزرج الاكبر بأهله و عشيرته الى المدينة واستقر فيها .

وكانت المدينة يومئذ فى قبضة اليهود و تحت تصرفهم ، فهم سادتها و هم رؤسائها ، وهم اصحاب الثروة والمال والامارة والسلطان ، و أصحاب النفوذ و العدة و العدد . فأقام الخزرج بينهم طويلا خائفين و جلين ثم سألوا اليهود أن يعقدوا بينهم حلفاً و جواراً ، يأمن فيه بعضهم من بعض و يمتنعون به عمن سواهم ، فقبل اليهود بذلك و تعاقدوا و تحالفوا وأمن بعضهم من بعض .

هذا حاصل ما ذكره المؤرخون فى انتقال الخزرج عشيرة سيدنا قيس الى المدينة وقد اقتصرنا فيه على ماذكره السمهودى فى وفاء الوفاء طلباً للاختصار .

قيس والإسلام

دار الفلك دورته الجبارة ، وقطع ركب الزمن شوطاً بعيداً فى الحياة و اذا بالخزرج سادة اعزاء ، و اقوياء اشداء . قد بورك لهم فى عددهم ، وحسنت عدتهم ، فزاحموا اليهود فى الثراء والمال ، و نازعوهم امارة المدينة حتى ازالوهم عنها و غلبوهم عليها ، و عاد اليهود اذلاء صاغرين يخافون أن يتخطفهم الناس ، كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله فاضطروا الى مصانعة الخزرج و التجؤا الى مداراتهم ما وسعتهم المداراة ، واكتفوا بتهديدهم وتوعيدهم من وراء جدران بيوتهم اذا ما اضيموا و بأن يقولوا لهم ـ انتظروا قليلا ، إن نبياً يبعث فى هذا الزمان فنتبعه و نقتلكم قتل عاد و ارم ـ

ولكن العربى عربى فى كل زمان و مكان ، وهو هو دائماً مفطور على النزاع و الخصام ، و مجبول على حب الصراع و النضال لا يركن الى الهدوء والراحة ، ولا يميل الى الامن والاستقرار ، ولا يخلد الى السكون و الدعة . فما إن ساد الخزرج على المدينة و قهروا اليهود حتى نازعوا الاوس و خاصموهم ، وكان الاوس يومئذ قبيلة كبيرة جداً لا تقل من حيث المجموع عن الخزرج فاشتعلت نار الفتنة بينهم و دارت عليهم حروب و حروب شديدة و شديدة جداً ، فكانت حرب ـ سمير ـ و كانت حرب ـ كعب بن عمرو ـ ثم حرب ـ السرارة ـ و يوم الديك ـ و حرب الفجار الاول فيوم ـ فارع ـ فيوم الفجار الثانى ـ الى آخر تلك الوقائع المتعددة الدامية التى ختمت بيوم ـ بعاث ـ وكانت احماهن وطيسا، واشدهن وقعا فى النفوس والاموال ، وقد استنزفت ابطال الفريقين وذهبت بكثير من رجالاتهم الافذاذ حتى اضطر الاوس أخيراً لضعفهم الى محالفة اليهود على الخزرج و الى أن يوفدوا من قبلهم وفداً الى مكة لعقد معاهدة حربية مع قريش .

و بينما كانت نارالحرب مستعرةالاوار في المدينة ، والخصومة بين الاوس والخزرج قائمة على قدم و ساق كانت فى مكة حرب شعواء طاحنة تدور رحاها بين فئتين متقابلتين، بين الحق والباطل ، وبين التوحيد والشرك ، وبين الاسلام والوثنية ، وبين النبى محمد ـ ص ـ و قريش وعلى رأسها ابولهب .

ولكن الحق دائماً يعلو ولا يعلى عليه ، وأنى للباطل أن يقف فى وجهه ، فخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على عادته فى كل يوم يدعو الناس الى التوحيد والعدل ، والى كلمة ـ لا إله الاالله ـ ويعرض نفسه على القبائل ، و اذا بستة رجال من الخزرج يصادفهم فى طريقه فيدنومنهم و يسألهم فى رفق ولين .

ـ أمن موالى يهود .

ـ نعم .

ـ أفلا تجلسون اكلمكم .

ـ نعم . نعم

ـ يدعوهم الى الله و يعرض عليهم الاسلام ثم يقرأ لهم شيئاًمن القرآن الحكيم .

ـ يتأملون و يعجبون و تخشع قلوبهم لذكر الله العظيم و يلتفت بعضهم الى بعض قائلا — انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه — ثم يبادرون الى بيعته ويتسابقون على الاسلام و يتوجهون جميعاً بصوت واحد الى النبى ويقولون له ـ يانبى الله إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزمنك .

ـ ارجعو الى قومكم فادعوهم الى الله .

فقام الجماعة وودّعوا النبي و رجعوا الى المدينة فأخبروا قومهم برسول الله و دعوهم الى الاسلام فلم تبق دار من دور الانصار — على ما يذكر المؤرخون — الا وفيها ذكر رسول الله .

ولما اقبل العام الجديد و قرب الموسم خرج الى مكة اثنا عشر رجلا ثلاثة من الاوس وتسعة من الخزرج فاجتمعوا بالنبي عند العقبة فأسلموا و بعث معهم النبي رجلين من اصحابه ليدعوا الى الله و يعلما المسلمين القرآن .

ولم يواف الموسم من السنة الثالثة حتى هرع الى مكة كثير من الانصار ما بين مسلم و مشرك فتسلل منهم جماعة سرا - وكانوا يحترقون شوقاً الى النبي - واتجهوا الى العقبة يقدمهم سعد بن عبادة ابو سيدنا قيس فألفوا النبي هناك فحضوا بلقائه ثم ودعوه على أن يكون اللقاء أوسط ايام التشريق في مسجد العقبة .

و آن الاوان فجاء النبي و معه عمه العباس - وكان بعد على دين قومه - وقد أوقف الامام عليا على فم الشعب وأوقف أبا بكر على فم الطريق عيناً له على قريش . فلما استقر النبي رفع صوته بقراءة القران ثم دعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام فتزاحموا عليه يبايعونه حتى اسلموا جميعاً فأخذوا يتعلقون به و يدعونه باصرار للهجرة معهم الى المدينة فأثنى عليهم النبي خيرا و وعدهم بذلك و قال لهم ارجعوا الى المدينة فادعوا قومكم الى الله .

ولما همّ الجماعة بالانصراف استمهلهم العباس والتفت الى النبي و قال له دعني اوثق العهد عليهم بابي انت و امي

النبي - ذاك اليك .

العباس - الى الجماعة - إن محمدا منا حيث علمتم و قد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز و منعة في بلده ، و إنه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم : فان كنتم ترون أنكم مسلموه

و خاذلوه بعدالخروج بهاليكم فدعوه فانه في عز ومنعه من قومه و بلده
الجماعة — بحماس — قدسمعنا ما قلت، فكلم يا رسول الله فخذ لنفسك
ولربك ما احببت .
النبى — ابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نسائكم و أبنائكم
البرار بن معرور — يأخذ بيده — نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع
منه ازرنا-١- فبايعنا يا رسول الله فنحن اصحاب الحرب واهل الحلقة ورثناها
كابراً عن كابر .
ابوالهيثم — يا رسول الله إن بيننا و بين الرجال حبالا و نحن قاطعوها
فهل عسيت يا رسول الله إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى
قومك و تدعنا .
النبى - مبتسما - أنا منكم وانتم منى احارب من حاربتم واسالم من سالمتم ،
المحيا محياكم ، والممات مماتكم، الدم الدم ، والهدم الهدم
اصوات - من هنا وهناك - ابشر اذن يا رسول الله بالقوة والمنعة
النبى- اختاروا لى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون لى على قومهم
كما كان الحواريون لعيسى بن مريم فأخذ الجماعة في الانتخاب فاختاروا من
بينهم اثنى عشر رجلا وفيهم سعد بن عبادة انتخب نقيباً على بنى ساعدة، ثم
ودع الجماعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم راجعين الى المدينة .

وصل الجماعة الى المدينة و وصل معهم سعد وكله فرح و سرور
وكله اسلام و ايمان فأخذ يدعو الى الله ويبشر بالاسلام فدعى ابنه سيدنا
قيساً و دعى بقية اولاده و اهل بيته وعشيرته وعرض عليهم الاسلام فبادر
اليه سيدنا و اعتنقه بكل رحابة صدر و انشراح وكان فى نفسه هوى ملحاً
اليه وفى قلبه رغبة فيه مابعدها رغبة .

---

١ - الازرهنا كناية عن النساء وهى من الكنايات الجميله

و أيّ نفس لا تهوى الاسلام بل ايّ قلب بصير حى لا يميل اليه ولا يرغب فيه و فى توحيد الله ، وفى كل شيئى له آية . فى السماء والارض . فى الليل والنهار ، فى الشمس والقمر والنجوم ، فى اختلاف الالوان والالسنة فى . فى . فى هذه كلها دلالة واضحة على توحيده و عظمته .

وهكذا تم لسعد بن عبادة أن يخدم الاسلام و يهيأ له انصاراً مسلمين مؤمنين من خيرة الانصار حتى إذا ما هاجر النبى من مكة الى المدينة كان هو أول من خرج لاستقباله و كانت جفنته على حد تعبير المؤرخين لاتعدوه لسبعة اشهر و دفع اليه ابنه قيسا يخدمه و يقوم بحوائجه .

يقول سيدنا قيس : دفعنى ابى الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم أخدمه فمر بى يوماً و قد صليت فغربنى برجله وقال . ألا ادلك على باب من ابواب الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال كلمة ـ لاحول ولا قوة الا بالله

و بقى قيس يخدم النبى و يجد فى خدمته حتى ارتاح له النبى وأنس به واطمأن اليه فنصبه سيّافا خاصا له ثم بعثه بعد ذلك لحزمه وامانته عاملا على صدقات المسلمين وهو منصب خطير جداً تزل فيه الاقدام ان يدل على شيئى فانما يدل على سمو مكانته عند النبى وثبات قدمه فى الامانة والايمان

يقول الواقدى كان قيس بن سعد بن عبادة من كرام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و اسخيائهم و دهاتهم ..

ولا يسعنا هنا أن نذكر جميع ما ذكره المؤرخون فى جلالة صاحبنا و منزلته فى الاسلام و يكفينا أن نعلم أنه كان أخيراً من النبى بمنزلة صاحب الشرطة من الامير وهى منزلة ساميه يغبطها عليه اكثر الصحابة ولا ينالها الا ذو حظ عظيم

على عهد النبيّ

أقام قيس ملازماً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حريصاً على خدمته ساهراً على هنائه و سعادته ، عاملا جهده لتوفير راحته حتى اذا ما عزم النبى على الخروج معترضاً طريق أبى سفيان ـ وقد أُخبر بخروجه من الشام بتجارة قريش الى مكة ـ تهيأ بطلنا للخروج معه وكان يومئذ شابا لم يبلغ العقد الثالث من سنى عمره .

و خرج النبى بكثير من المهاجرين والانصار يتبعه صاحبه قيس فسار حتى نزل قريباً من بدر (١) ينتظر مرور ابى سفيان عليه .

ولكن اباسفيان قد نجا بما معه من الاموال فقد أخبروهو بالزرقاء (٢) بخروج النبى فأرسل رسولا الى مكة يستنجد قريشاً و يستغيث بهم من النبى ثم تياسر من بدر ـ وقد استبطأ النجدة ـ و أخذ على ساحل البحر حتى وصل الى مكة بالتجارة سالما .

و أُخبر النبى بوصول ابى سفيان الى مكة و بقدوم قريش لحربه وكانت قد خرجت لما وصل اليها رسول ابى سفيان و نفرت ـ كما يعبر المؤرخون ـ عن بكرة أبيها على كل صعب و ذلول و هى بأتم استعداد وبأحسن مايكون من العدة و العدد ، فجمع النبى اصحابه وأخبرهم بنجاة ابى سفيان و بخروج قريش لحربهم ثم استشارهم فى القتال فأشار عليه اكثرهم به فارتحل بأصحابه و نزل ببدر وقد سبقته اليها قريش فنهضت اليهم وتقدمت لحربهم وتقدم اليها المسلمون فتقابل الفريقان واصطف العسكران

---

١ ـ بدر : عين ماء بين الحرمين أو اسم بئر حفرها بدر بن قريش كما فى القاموس

٢ ـ الزرقاء عين ماء فى ضواحى الشام

فتناوشا القتال ثم اشتد و اشتد وحمى الوطيس فكانت الحرب و كانت واقعة بدر الكبرى فانهزمت قريش وفرت شاردة لا تلوى على شئ و قد خلفت و رائها كثيراً من الضحايا و الاموال ، و قفل النبى راجعاً بالمسلمين الى المدينة ظافراً منصوراً مؤيدا فرجع معه خادمه وصاحبه قيس وقدسره بشجاعته وأعجبه ببسالته و اقدامه .

و وصلت اشلاء قريش الى مكة موزعة منهوكة فاجتمعت فى دار الندوة و استقرت على طلب ثارها من النبى مهما كلفها الامر .

و لم يمض على واقعة بدر سنة واحدة حتى كانت قريش كلها جيشا واحداً جراراً يقوده ابو سفيان زاحفاً به نحو المدينة فنزل فى ضواحيها وأخذ يعبث بزرع المسلمين وأراضيهم .

وخرج اليه النبى فى حشد من المسلمين وفى طليعتهم فارسنا الصنديد قيس فعسكر -بالشيخين- قريبا من عسكر قريش ثم تحول الى احد(١) و صف أصحابه هناك ، فلما رأته قريش زحفت اليه و على ميمنتها خالد بن الوليد و على الميسرة عكرمة بن ابى جهل و على الخيل عمرو بن العاص و أمامها النساء يضربن الدفوف تتقدمهن هند رافعة عقيرتها تردد

نحن بنات طارق   نمشى على النمارق

ان تقبلوا نعانق   او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

ثم دنت قريش من المسلمين وقد تأخرت النساء خلف الصفوف تشجع الرجال و تحرضهم و تثير فيهم الحمية و تقول

ويهاً بنى عبد الدار   ويها حماة الادبار

ضرباً بكل بتار

---

١ - أحد - جبل فى ضواحى المدينة

و تنازل الفريقان و اشتبك الرجال و تنادت الفرسان فانكشفت قريش وولت الدبر و تبعها المسلمون بالسيوف حتى دخلوا معسكرها وجعلوا ينتهبون ما به من الاموال والسلاح فثارت غريزة الطمع فى نفوس رماة المسلمين ـ وكان النبى قد أوقفهم على جبل احد يحمون ظهور المسلمين و أكد عليهم بلزوم مكانهم ـ فنزلوا و شاركوا المقاتلين السلب فلمارأت قريش اشتغالهم بالنهب والسلب انعطفت عليهم من خلفهم و كرت كرة واحدة فضربتهم بالسيوف ضربا تفرق المسلمون له يعثر بعضهم ببعض من الخوف والدهشة ولم يبق مع النبى الانفر يسير وقد كلوا من الدفاع وأضعفتهم كثرة ما اصيبوا به من الجراح فمال بهم النبى الى شعب الجبل وكان قد لجئت اليه جماعة من المنهزمين ،و بعد أن و بخهم النبى رجع الى المدينة و خلفه خادمه قيس وقد أبلى فى الله بلاء حسنا و دافع عن سيده النبى فى تلك الواقعة دفاعا مجيدا .

و أشاع المنافقون ضعف المسلمين و طبلوا لنكبتهم و زمروا ما لذ لهم التطبيل و التزمير ، و تنمروا لرسول الله و تحالفوا مع بنى النضير اليهود عليه وعزموا على اغتياله وقتله .

و خرج النبى لاربعة أشهر من واقعة أحد الى بنى النضير ـ وقد علم بما عزموا عليه ـ و معه جيش جرار يقوده سيد الابطال امير المؤمنين على عليه السلام كان بطلنا المغوار قيس فى الرعيل الاول منه فحاصرهم حصاراً شديدا و قتل رؤسائهم و اضطرهم على التبعيد و الجلاء .

ولم يجد بنو النضير بدأ من الجلاء فجلوا و ساروا حانقين على النبى يتميزون من الغيظ فنزل اكثرهم خيبر (١) بلد اليهود الامين وحصنهم المنيع

١ ـ خيبر ـ حصن بناه اليهود قرب المدينة

فأخذوا يحرضونهم على المسلمين ويهيجونهم على حرب النبي حتى هاجت اليهود وماجت وجعلت تخرج في صباح كل يوم مبكرة تصف صفوفها امام الحصن استعدادا للطوارء وتنادي معجبة بكثرتها معتدة بقوتها . محمد . محمد يغزونا . هيهات هيهات ..

و يشاء الله أن يغزوهم النبي في جمع كثيف من المسلمين و يمسي حول حصنهم يحرسه سيافه قيس ، فخرج اليهود الى اعمالهم و قد القى الله عليهم النعاس فاصبحوا ذلك اليوم متأخرين متثاقلين كسالى و ما ان فتحوا باب الحصن و خرجوا قليلا ورأوا المسلمين حتى رجعوا مخذولين يركب بعضهم بعضا من الخوف يصرخون . محمد . محمد والخميس(١) ثم دخلوا الحصن و اغلقوا الباب عليهم و بقي النبي حول الحصن ضارباً عليهم نطاقا ضيقاً من الحصار والتقييد الى أن جزع اليهود وخرجوا اليه محتدمين مستميتين فأزاحوا المسلمين عن الحصن و أخذوا يقاتلون و يتقدمون حتى صاروا قريباً من النبي فحزن النبي كثيراً و أعطى رايته لرجل من المهاجرين وأمره باقتحام الحصن فرجع مخذولا ، فاعطاها لآخر من الانصار فرجع مهزوما ، فلما رأى ذلك تضاعف حزنه واغتم الى ابعد حد وقال ـ لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله و رسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه .

و أقبل الغد و قد أصبح الصباح فتطاولت اعناق المهاجرين والأنصار و اجتمعوا على النبي يتدافعون و يتزاحمون وكل و احدمنهم تغازل نفسه الاماني بها فدعى النبي امير المؤمنين عليا ـ و كان ارمد ـ فوضع شيئاً من ريقه في عينيه و دفع الراية اليه فأخذها الامام و تقدم بها نحو الحصن فخرجت اليه اليهود يقدمهم ابو زينب اخو مرحب فانهزم المسلمون وثبت

---

١ ـ الخميس ـ الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة

له الامام فقتله فتقدم اليه مرحب و حمل عليه بالسيف فاتقاه الامام بالترس فانقطع الترس ، ولم يجد شيئاً يتقي به عن نفسه ، و التفت فرأى باب الحصن - وكان كبيراً ثقيلا جداً (١)فاقتلعه و تترّس به ثم حمل على مرحب فأرداه قتيلا يخور بدمه ، و فرّ اليهود الى الحصن فاقتحمه عليهم وفتحه ، ورجع المسلمون الى المدينة مع النبي غانمين ورجع سيافه قيس و كان له مع اليهود جولات وجولات

و في يوم من ايام شهر رمضان المبارك لثمان سنين خلون من الهجرة بينما كان النبي صلى الله عليه و آله وسلم جالساً في المسجد يحدث اصحابه واذا برجل من خزاعة احلاف النبي-٢- يقف على رأسه ويرفع صوته منشأ

لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وأبيه الأتلدا

---

١ - روى المقريزي في كتابه - امتاع الاسماع - قال و ان باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا . وعن جابر : ثم اجتمع على الباب بعد ذلك ستون رجلا فكان جهدهم أن أعادوه . وعن ابي رافع : فلقد رأيتني مع نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد أن نقلب الباب فما استطعنا أن نقلبه . و أخرج الحاكم بسند صحيح مرفوعاً الى جابر : قال و ان علياً حمل الباب يوم خيبر و انه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا

٢ - قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي: كان رسول الله-ص- قد هادن قريشاً في عام الحديبيه عشر سنين و جعل خزاعة داخلة معه و جعلت قريش بني بكر بن عبدمناة من كنانة داخلة معها وكان بين بني بكر وبين خزاعة تراث في الجاهلية و دماء و قد كانت خزاعة من قبل حالفت عبدالمطلب ابن هاشم و كان معها كتاب منه و كان رسول الله -ص- يعرف ذلك فلما تم صلح الحديبيه وأمن الناس سمع غلام من خزاعة انساناً من بني كنانة يقال له أنس بن زنيم الدؤلي ينشد هجاء له في رسول الله -ص- فضربه فشجه فخرج أنس الى قومه فأراهم شجه فثار بينهم الشر وتذكروا أحقادهم القديمة و القوم متجاورون بمكة - فاستنجد بنو بكر بن عبدمناة قريشا على خزاعة فأعانوهم و دسوا الرجال والسلاح سرأو بيتوا خزاعة ليلا فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عشرين رجلا فلما أصبحوا عاتبوا قريشاً فجحدت قريش أنها اعانت بني بكر فشخص قوم من خزاعة يستصرخون رسول الله -ص-

فـوالدا كنا و كنت ولـدا ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً عتدا وادع عبـاد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قـد تجـردا ابيض مثل البدر ينمي صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالصبح يجري مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا و نقضوا ميثاقك المؤكـدا
و جعلوا لي في كذاء رصدا و زعموا أن لست أدعو أحدا
و هـم أذل و أقـل عـددا هم بيتونا بالـوتير هجـدا
فقتلونا ركّعا و سجدا

فقام النبي غاضباً من المسجد يجر ثوبه ويقول - لا نُصرت ان لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي - ثم تجهز و أمر الناس بالتجهز و سار قاصداً مكة يرفع رايته امامه سعد بن عبـادة حتى شارف مكة فلما رأى سعد أبا سفيان هز الراية في وجهه و نادى عالياً - يا ابا سفيان . اليـوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرمة . اليوم اذل الله قريشا . فارتجف ابو سفيان فزعاً و نادى وقد قرب منه النبي - يـا رسول الله أمرت بقتل قومك ، هكذا زعم سعد ، و اني انشدك الله في قومك فأنت أبر الناس ، و أرحم الناس ، وأوصل الناس فرق له النبي مما به من الخوف والذعر و قال - يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله قريشاً . و ارسل الى سعد فأخذ الـراية منه و دفعها الى بطلنا قيس -١- وكان امام كتيبة النبي و في مقدمة الفاتحين فأخذها قيس و تقدم بها مجتازا طرقات مكة حتى ركزها عند الركن ..

و ماكاد النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يستقر في مكة ويمضي عليه اثنا عشر يوماً حتى أخبر بقدوم هوازن لحربه فسار بجميـع الجيش اليـهم و نزل فـي وادي حنين -٢- حيث كانت هـوازن معسكـرة

١ - المشهور أن النبي دفعها الى اميرالمؤمنين علي عليه السلام كما عليه اكثر المؤرخين ولكن هكذا ذكر المقريزي في امتاع الاسماع
٢ - حنين - كزبير : عين بين الطائف ومكة

و عقد الالوية والرايات فأعطى راية لسيدنا قيس وسوده على بعض الانصار..

و التقى الجمع وجد الجد وقامت الحرب على ساق فولى المسلمون مدبرين وقد ضاقت عليهم الارض بمارحبت . و أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا في وجه هوازن يضربون بسيوفهم . ثم انزل الله جنوداً من السماء لم يروها ورجع بعض المنهزمين فتقدم بهم النبي وانتصر على هوازن.

ولما رجع النبي بالمسلمين الى عاصمته المدينة بعد أن سار بهم من حنين الى الطائف و منها الى الجعرانة و فتحهما بعث امير شرطته قيسا على أربعمائة فارس الى ناحية اليمن و أمره أن يقاتل قبيله صداء ، فسار قيس بالفرسان يحدوه المبدأ الصحيح و تستحثه العقيدة الراسخة بالله وكله جد و ثبات و كله اخلاص للنبي و تفان في سبيل الاسلام ..

و سبقه اسمه الى اليمن فهز أرجائها و أرعب اهلها فخافوا خوفاً شديدا و ارسلوا رئيسهم - زياد بن الحرث الصدائي - الى النبي فجعل يستعطفه ويترجاه في ارجاع قيس عنهم و يقول له - يا رسول الله أنا وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا اتكفل باسلام قومي كلهم و طاعتهم فلان له النبي وعطف على بني صداء و قال له ، اذهب اليهم فردهم فاعتذر وقال ، يا رسول الله ان راحلتي قد كلت، فبعث النبي الى قيس قبل أن يصل الى اليمن يأمره بالرجوع فرجع صاحبنا الى المدينة وقدم بنو صداء بعده بخمسة عشر يوماً فأسلموا وأظهروا الخضوع والانقياد ..

الى هنا نقف بالقارئ الكريم و قد شاهد مواقف فارسنا الصنديد المشرقة في ساحات بدر وأحد. و بني النضير. وخيبر . والفتح . وحنين ورأى جهاده المتواصل على عهد النبي في سبيل اعلاء كلمة الاسلام و رفع راية الحق و سنرجع به و نو قفه في الفصول القادمة على مواقفه في حرب الجمل و صفين و النهروان وغيرها من المواقف

في يوم السقيفة

حديث يوم السقيفة حديث ذو شجون و شجون ، كثيرالنواحي ، متشعب الفروع و قد كتبت فيه مشاهير الكتاب من العصر الاول الى يومنا هذا فأطالوا فى الكتابة و أطنبوا ، و تناوله بالبحث و التحليل أكابر علماء المسلمين من الخاصة و العامة حتى خرجوا الى حد النزاع ، و ربما اسرف بعضهم احيانا فى هذا النزاع اسرافاً يبعث قبل كل شئ على الاسف و التألم ، و يثير الحفائظ والنفوس ، و يهيج نار الحقد و الحزازات ثم يدعوا الى شق عصا المسلمين ووقوع الفتنة و الفرقة فى صفوفهم.

و حديث السقيفة وإن كان حديثاً معاداً و معادا بكثرة مملة للغاية أكل الدهر عليه وشرب كما يقول القدماء ، الا انا اذ نتناوله اليوم بالكتابة نرجوا و نأمل فيه الاصلاح فى وقت نحن احوج ما نكون الى الاصلاح بين طائفتين عظيمتين كبيرتين من المسلمين لهما حظهما الوافر من الثقافة و العلم ، و لهما تاريخهما المجيد الحافل بأسمى معانى الكرامة والفخر و الشرف.

و قد كشفت لنا الحوادث الاخيرة فى العراق -١- والحمد لله عن شعور المسلمين عامة شيعة و سنة بضرورة الاتحاد ، و احساسهم بوجوب الوحدة الاسلامية . ورفض الفوارق المذهبية - إن كانت هناك فوارق و مجانبة العصبيات الطائفية و النعرات الاستعمارية المفرقة و هذا مما يدعوا الى الغبطة و السرور . و هى احدى بوادر الثقافة الحديثة ، وأول

١- الحوادث الدامية التى و قعت اخيراً فى العراق حول معاهدة - بورتسموث العراقية الا نجليزية لسنة - ١٩٤٨ - ميلادى .

خطوة يخطوها المسلمون الى الامام نرجوا أن يتبعها خطوة و خطوة اخرى و خطوات ، ثم تقدم سريع نحو الحرية والا ستقلال .

وهكذا يجب أن يكون المسلمون دائما يداً واحدة على من سواهم فبالوحدة تنال الامانی و بالاتحاد يدرك المأمول ، فما أعز الوحدة وأقوى الاتحاد

و اذاكان لا بدلنا من الكتابة عن يوم السقيفة و الحكم على ما وقع فيها من البيعة فا نالم نكن ـ لضرورة الاتحاد ـ لنعدوا رأى الخليفة الثانی عمر بن الخطاب رضی الله عنه وقد قال ـ إن بيعة ابی بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ـ١ـ .

والحق انها كانت فلتة من فلتات الجاهلية لا تغتفر أبد الدهر، و لقد كانت للاسلام طعنة نجلاء أصابت الصميم من فواده فمزقته شر ممزق ، واصبح المسلمون من جرائها شعوباً و قبائل و احزاباً متنافرة يقتل بعضهم بعضا و يعدو المسلم على الاخر .

و مما يزيد فی الطين بلة . انها لم تكن عن رضى المسلمين ولم تأخذ الا اغتصابا من الناس ، وكان اكثر المهاجرين والا نصار ناقماً عليها أشد النقمة ، و نافراً منها الى ابعد حد .

يقول البراء بن عازب ـ٢ـ فلما قبض رسول اله صلى الله عليه و آله وسلم تخوفت أن تتظاهر قريش على اخراج هذا الامر من بنی هاشم ، فلما صنع الناس ماصنعوا من بيعة أبی بكر أخذنی ما يأخذ الواله الثكول مع ما بی

---

١ ـ ذكر هذه الرواية اكثر المؤرخين وسنشير الى مصادرها المتعددة فيما يأتی .

٢ ـ عن كتاب السقيفة لسليم بن قيس ـ١٢ـ وعن ابن ابی الحديد فی شرح نهجه طبع مصر ـ١ـ ٧٤ .

من الحزن لوفاة رسول الله ، فجعلت أتردد وأرمق وجوه الناس ، وقد خلا الها شميون برسول الله لغسله و تحنيطه ، وقد بلغنى الذى كان من قول سعد بن عبادة و من اتبعه من جملة أصحابه فلم احفل بهم و علمت أنه لايؤل الى شئ ، فجعلت أتردد بينهم و بين المسجد ، و اتفقد وجوه قريش ،و إنى لكذلك اذ فقدت أبابكر و عمر ، ثم لم ألبث حتى اذا أنا بأبى بكر وعمر و أبى عبيدة ، وقد اقبلوا فى اهل السقيفة محتجزون بالازر الصنعانية لايمر بهم أحد الا خبطوه فاذا عرفوه مدوا يده على يد أبى بكر شاء ذلك أو أبى ، فأنكرت عند ذلك عقلى جزعا منه مع المصيبة برسول الله صلى الله عليه و آله فخرجت مسرعا حتى أتيت المسجد ، ثم أتيت بنى هاشم و الباب مغلق دونهم ، فضربت الباب ضرباً عنيفاً و قلت يا اهل البيت فخرج الى الفضل بن العباس فقلت قد بايع الناس أبا بكر فقال العباس قد تربت أيديكم منها الى آخر الابد ، أما انى قد أمرتكم فعصيتمونى يقول البراء فمكثت أكابد مافى نفسى فلما كان الليل خرجت الى المسجد ، فلما صرت فيه سمعت همهمة فانبعثت من مكانى فخرجت نحو الفضاء ـ فضاء بنى بياضة ـ فوجدت نفراً يتناجون ، فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى و ما عرفتهم فدعونى فأتيتهم فاذا المقداد و ابوذر و سلمان . وعمار ابن ياسر . و عبادة بن الصمت . وحذيفة بن اليمان . و الزبير بن العوام و حذيفة يقول والله ليفعلن ما اخبرتكم به فو الله ما كذبت ولا كذبت واذا هم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين والانصار ـ فقال حذيفة . انطلقوا بنا الى أبى بن كعب فقد علم مثلما علمت ، فانطلقنا الى أبى ابن كعب فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب ثم قال من انتم، فكلمه المقداد ، فقال ما جاء بك ، فقال افتح فان الامر الذى جئنا فيه أعظم

من أن يجرى وراء الباب، فقال ما أنا بفاتح بابى، و قد علمت ماجئتم له وما أنا بفاتح بابى ، كأنكم أردتم النظر فى هذا العقد فقلنا نعم فقال أفيكم حذيفة ، فقلنا نعم ، قال القول ما قال حذيفة فأما انا فلا أفتح بابى حتى يجرى ما هو جار و لما يكون شرهنها و الى الله جل ثناءه المشتكى »

و روى ابن ابى الحديد -١- ان سعد بن عبادة و اهل بيته وعشيرته امتنعوا جميعاً عن بيعة ابى بكر فبعث ابو بكر خلف سعد يدعوه الى البيعة فامتنع أشد المنع و قال ، لا و الله حتى أرميكم بما فى كنانتى ، وأخضب سنان رمحى ، و أضرب بسيفى ما اطاعنى و أقاتلكم بأهل بيتى و من تبعنى من اهلى و عشيرتى و لو اجتمع معكم الجن و الانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربى فتركه ابو بكر -٢-.

---

١ - انظر شرح نهج البلاغة طبع مصر -١- ١٢٨ -

٢ - يظهر أن الخليفة ابوبكر اخذ يطارد بعد ذلك سعداً و يتعقبه حتى فرمنه سعد الى حوران فلم يتركه ايضاً و بعث الى امير الشام سرا يأمره باغتياله و قتله فبعث امير الشام من رماه ليلا بسهمين فقتله و أشاع ان الجن قتلته لانه بال فى الصحراء قائماً ثم وضع بيتين من الشعر على لسانهم و هما .

نحن قتلنا سيد الخز   رج سعد بن عباده
و رميناه بسهمين فلم   نخطأ فؤاده

ولم تخف هذه الظاهرة على الناس وإن عميت على بعض البسطاء المغفلين و قد فضح هذه المؤامرة أحد الشعراء فقال

يقولون سعد شكت الجن قلبه   الا ربما صححت دينك بالغدر
و ما ذنب سعد أنه بال قائما   ولكن سعداً لم يبايع ابابكر
وقدصبرت عن لذةالعيش أنفس   وما صبرت عن لذةالامر والنهى

و عن ابى جعفر -١- قال ان الانصار امتنعت مـن البيعة و قالت لا نبايع الا عليا . وروى أبوبكر احمد بن عبدالعزيز بسند يـرفعه الى أبي الاسود -٢- قال غضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر ..

وفي الامامة والسياسة ذكر ابن قتيبة -٣- ان بني امية جميعا اجتمعت على عثمان . و اجتمعت بنو زهرة على سعد و عبدالرحمن بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين فدخل عليهم عمر وقال مالى اراكم مجتمعين حلقا في المسجد قوموا فبـايعوا أبابكر فقاموا - و طبعاً مكرهين - و بايعوا .

وفي الطبرى -٤- عن الضحاك بن خليفة قال . و ان الحباب بن المنذر امتنع عن البيعة و انتضى سيفه و قـال . انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أنا أبو شبل في عرينة الاسد فحامله عمر فضرب يـده فندر السيف فأخذه عمر فجعل الحباب يضرب وجوههم بثوبه

و عن ابى بكر احمدبن عبد العزيز الجوهرى -٥- قال و ان سعد ابن ابى وقاص كان ممتنعاً عن بيعة أبى بكر وكان فى بيت فاطمة اجتمع فيمن اجتمع ليبايعوا علياً فجاء عمر اليهم فقال. و الذى نفسى بيده لنخرجن الى البيعة اولاُحرقن عليكم البيت ثم أخرجوا بالقوة واكرهوا على البيعة

و عن سليم بن قيس -٦- قال . وقام بريدة الاسلمى فقال ياعمر أتثب

---

١ - راجع شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد طبع مصر -١- ١٢٢

٢- « « « « « « -١- ١٣٢

٣ - ١ -٩-

٤ - راجع تاريخ الامم والملوك الطبعة الاولى -٣- ٢١٠ -

٥ - انظر شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد طبع مصر -١- ١٣٤-

٦ - فى كتاب السقيفة طبع النجف الاشرف -٢٥-

على اخى رسول الله وأبى ولده و انت الذى نعرفك فى قريش بما نعرفك ألستما ـ يعنيه و ابا بكر ـ الذين قال لكما رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم انطلقا الى على وسلما عليه بامرة المؤمنين فقلتما أعن امر الله ورسوله قال نعم فقال ابو بكر قد كان ذلك ولكن رسول الله قال بعد ذلك . لا تجتمع لاهل بيتى الخلافة و النبوة فقال بريدة . والله ما قال هذا رسول الله . والله لاسكنت فى بلدة انت فيها أمير . فأمر عمر فضرب وطرد .

و قال سلمان الفارسى رضوان الله عليه . ثم اخذونى فوجئوا عنقى حتى تركوها كالسلعة ثم أخذوا يدى فبايعت و بايع ابوذر و المقداد مكرهين ..

و هكذا كانت بيعة ابى بكر اجبارا فى اجبار و اكراهاً الى اكراه اخذت من الناس بالقوة و اغتصبت من المسلمين اغتصابا ..

و شىء آخر كان يستعمله ابوبكر مع القوة فى سبيل بيعته كان له اكبر الاثر فى خلافته و توطيد دعائمها . فقد استعمل الرشوة كثيراً واسرف فى استعمالها . فكان يبعث الاموال ـ و طبعاً اموال المسلمين ـ لكل من يتوجس منه المعارضة و الخلاف و يمنى روساء القبائل ـ إن بايعوه ـ ويعدهم بالولاية و السلطان . و ما تقسيمه الاموال على نساء المهاجرين والانصار فى اول خلافته الا نوع من هذه الرشوة . أوهى الرشوة بأجلى مظاهرها . أراد أن يأمن بها غائلة امهات المؤمنين ، و خلاف من تخالفه من عظيمات النساء . ولكنه ألبسها ثوب الدين ، و أعطاها باسم القسمة و جعلها عامة لجميع النساء خوفا من تعلق الريب والشك ، و خشية من سوء الظنون وحذرا من الافتضاح . و هذه حذلقة بارعة و طريقة فنية

للارشاء اتقنها الخليفة ابوبكر رضى الله عنه غاية الاتقان و أجاد فيها الى أبعد حد و كان له كل الفضل فى اكتشافها على علماء العصر الحديث ـ عصر الرشوة ـ وهكذا يجب ان يكون الخلفاء علماء فى كل علم، لهم السبق فى كل فن ، متفضلين دائماً على الناس ..

و لقد كان نجاح ابى بكر بهذه الطريقة باهراً جداً ، الا ان بعض المؤمنات الحازمات ترفع الستار عن أمره ، و تكشف للناس دخيلة سره، و ترد عليه المال غاضبة تقول فى سخط و تنفر ـ اتراشونى عن دينى والله لا اقبل منه شيئا ـ ١ ـ

ولاتعوزنا النصوص للتدليل على ماكان يستعمله ابوبكر من الرشوة فى سبيل خلافته فبين يدينا كثيرة منها نذكر للقارئ الكريم بعض ماذكره اخواننا اهل السنة فى كتبهم .

روى ابن ابى الحديد فى شرح نهج البلاغة فقال ـ ٢ ـ وبلغ ابوبكر وعمر ـ أى اجتماع بعض المهاجرين والانصار على بيعة الامام وامتناعهم عن بيعته ـ فأرسلا الى أبى عبيدة و الى المغيرة بن شعبة فسألاهما الرأى فقال المغيرة أرى أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده فى هذا الامر نصيباً لتقطعوا بذلك ناحية على بن أبى طالب فاستحسن الجميع رأيه وساروا حتى دخلوا على العباس وذلك فى الليلة الثانية من وفاة رسول الله ـ ص ـ فحمد الله ابوبكر و أثنى عليه وقال : ان الله ابتعث لكم محمداً ـ ص ـ نبيا و للمؤمنين وليًّا ،

---

١ ـ ذكر ذلك ابن ابى الحديد فى شرح النهج ـ ١ ـ ١٣٢ ـ قال . قسم ابوبكر قسمة للنساء فارسل مالا الى امرأة من بنى عدى بن النجار مع زيد ابن ثابت فقالت ماهذا قال . قسم ابوبكر قسمة للنساء . فقالت . اتراشونى عن دينى والله لا أقبل منه شيئاً ابدا وردته عليه

(٢) ـ ١ ـ ٧٤ ـ طبع مصر

فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ماعنده، فخلى على الناس امورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ، ولأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك ، وما اخاف بعون الله و تسديده وهناً ولا حيرة ولاجبنا ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وعليه انيب وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجئاً فتكونوا حصنه المنيع ، وخطبه البديع، فاما دخلتم فيمادخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا اليه فقد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيباً و لمن بعدك من عقبك اذكنت عم رسول الله - ص - وإن كان المسلمون قدرأوا مكانك من رسول الله و مكان اهلك ثم عدلوا بهذا الامر عنكم ثم تصنع الغضب و صاح - و على رسلكم بني هاشم فان رسول الله منا ومنكم ، فاعترض كلامه عمروخرج على ما يقول ابن ابي الحديد . الى مذهبه في الخشونة و الوعيد ، و اتيان الامر من أصعب جهاته فقال . اى و الله واخرى أنا لم نأتكم حاجة اليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم و بهم فانظروا لانفسكم و لعامتهم . ثم سكت ، فتكلم العباس فحمدالله و أثنى عليه . وقال ، ان الله ابتعث محمداً نبياً كما وصفت ، و ولياً للمؤمنين ، فمن الله به على امته حتى اختار له ما عنده ، فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق ، مائلين عن زيغ الهوى فان كنت برسول طلبت فحقنا أخذت ، و إن كنت بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين ، وما ابعد قولك انهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك و اما مابذلت لنا ، فان يكن حقك أعطيتنا فأمسكه عليك و إن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه ، و إن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض . وما اقول هذا

أروم صرفك عما دخلت فيه ، ولكن للحجة نصيبها من البيان و أما قولك ان رسول الله منا ومنكم ، فان رسول الله من شجرة نحن اغصانها و أنتم جيرانها - ثم التفت الى عمر و قال - واما قولك ياعمر انك تخاف الناس علينا فهذا الذى قدمتموه اول ذلك و بالله المستعان..

ولم يسع ابابكر امام هذه المحاسبة الدقيقة الا أن يقوم من المجلس و يخرج خجلا فاشلا

وروى الجوهرى -١- بسند يرفعه الى مالك بن دينار : قال كان النبى -ص- قد بعث اباسفيان ساعياً فرجع من سعايته وقدمات رسول الله فلقيه قوم فسألهم فقالوا نعم مات رسول الله ، فقال من ولى بعده قيل ابو بكر قال ابو فصيل ، قالوا نعم قال فما فعل المستضعفان علي و العباس أما والذى نفسي بيده لارفعن لهما من اعضادهما ، فلما قدم المدينة قال انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا الدم . قال الراوى فكلم عمر أبابكر فى ذلك وقال ان ابا سفيان قد قدم ، و انالانأمن شره فدفع له ابوبكر مافى يده - وكانت اموالا جزيلة جداً - فتركه ورضى

ولا ادل على هذه الرشوة من قول ابى بكر للانصار لما امتنعوا عن بيعته . قال لهم فى سقيفة بنى ساعدة - نحن الامراء و انتم الوزراء لانفتات دونكم بمشورة ولا نقضي دونكم الامور ، وفى رواية اخرى انه قال فيماقال - نحن الامراء وانتم الوزراء و الامر بيننا نصفان كشق الابلمة -٢-

وشئ ثالث - وهو ثالث الاثافى - ولعله لا يقصر من حيث الاهمية عن أخويه ، بل ربماكان من أهم الدواعى لبيعته واقوى ما استندت عليه خلافته

١ - عن ابن ابى الحديد فى شرح النهج طبع مصر -١- ١٣٠ -
٢ - الابلمة : مثلثة الهمزة واللام . بقلة لهاقرون كالبا قلى . والمال بيننا كشق الابلمة اى نصفان

من الأركان . و هذا الشيء الثالث هو اختلاف المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناشيء عن التعصب القبيلي او الحزبي اومن ذلك العداء المتأصل بين المسلمين افراداً وجماعات، فان من وقف على المسلمين حينذاك ورأى ماكان يدور بينهم من النزاع و الخصام حول الخلافة علم جيداً ان هذا الاختلاف هوالذي شيد خلافة ابي بكر وانه كان في مقدمة الاسباب الى بيعته ..

ولولا ماكان بين الاوس والخزرج لما بايعت الاوس

ولولا ماكان بين المهاجرين والانصار لما بايع المهاجرون والانصار

ولولا ماكان بين بني اميه وبني هاشم لما بايع بنو امية بل نستطيع أن نقول انه لولا ماكان بين عمر بن الخطاب و بين الامام علي لما بايع عمر و لولا . ولولا . و هكذاد و اليك

ولكن الاوس بايعت ابابكر خوفا من أن ينالها سعد بن عبادة وسعد سيد الخزرج والخزرج خصمائهم في الشرف واعدائهم الالداء يدلنا على ذلك حديث سيدهم إذ قال لهم - والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولاجعلوا لكم نصيباً أبدا فقوموا فبايعوا أبابكر - وهو حديث سخيف غيرموزون لا يعترف به الاسلام ولا يقره المنطق الصحيح نستكشف منه نفوس الاوس المريضة في ذلك الوقت وانها كانت بعد لاتزال كماهي تلعب بها العصبيات الجاهلية وتكيفها النزعات القبيلية كما تهوى وتريد، والا فما حداهم على الاسراع الى بيعة أبي بكر، وماكان يضرهم سعد لو أصبح خليفة اذا كان في خلافته مصلحة للاسلام، و اين هم عن صاحب بيعة يوم الغدير، ولكنها الجاهلية و طالما صدت عن سبيل الله

و منعت من الحق و أضلت كثيرا .

وهكذا بايعت المهاجرون خوفاً من أن ينال الخلافة الانصار

و بايعت ايضاً بنو أمية حسداً لبني هاشم

و بايع عمر ليصرف الخلافة عن الامام علي و لينال بذلك الحظوة عند ابى بكر

و لسنا نتكلم رجماً بالغيب فقد روى ذلك سليم بن قيس (١) قال فقلت لسلمان فبايعت ابا بكر يا سلمان ولم تقل شيئاً فقال قد قلت بعدما بايعت تباً لكم سائر الدهر ،أو تدرون ما صنعتم بانفسكم ، أصبتم وأخطأتم أصبتم سنة من كان قبلكم من الفرقة و الاختلاف ، و اخطأتم سنة نبيكم حتى أخرجتموها من معدنها و أهلها فقال عمر يا سلمان أما اذا بايع صاحبك يعني الامام - و بايعت فقل ما شئت و افعل ما بدا لك و ليقل صاحبك ما بداله . حتى قال له فيما قال . قل ما شئت أليس قد ازالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم من دون الله أربابا الى آخر ما سجله سليم في كتابه

وهذا العداء الشخصي هو الذي دفع عمر بن الخطاب الى جميع ما بذله من الجهود في بيعة ابى بكر و نصرته، والا فهل تظن انه كان مدفوعا بدافع المصلحة العامة للمسلمين وحباً لابى بكر و رغبة فيه وفي خلافته اللهم كلا ثم كلا والف كلا، فقد كان عمر يمقت ابابكر كثيرا والى أبعد حد و كان اكره ما يكون له و لخلافته ، و هذا ابن ابى الحديد يحدثنا بذلك في شرح نهج البلاغة (٢) عن سعيد بن جبير و يقول : ذُكر ابوبكر و عمر عند عبدالله بن عمر فقال رجل كان حاضراً في المجلس ، كانا والله شمسي

---

١ - راجع كتاب السقيفة طبع النجف الاشرف -٢٦-

٢ - ١ -١٢٤-

هذه الامة و نوريها فقال ابن عمر ، وما يدريك فقال الرجل أوليس قد ائتلفا قال ابن عمر بل اختلفا لو كنتم تعلمون ، اشهد انى كنت عند أبى يوماً وقد أمرنى أن أحبس الناس عنه ، فاستأذن عليه عبدالرحمن ابن ابى بكر فقال عمر دويبة سوء ولهو خير من أبيه فأوحشنى ذلك فقلت يا أبت عبدالرحمن خير من أبيه فقال و من ليس بخير من أبيه لا ام لك أئذن لعبد الرحمن فدخل عليه فكلمه فى الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه ـ و قد كان عمر حبسه فى شعر قاله ـ فقال عمر إن فى الحطيئة اوداً فدعنى اقومه بطول حبسه فالح عليه عبدالرحمن و أبى عمر فخرج عبد الرحمن و أقبل علىّ أبى و قال أفى غفلة انت الى يومك هذا عما كان من تقدم احيمق بنى تيم علىّ و ظلمه لى فقلت لاعلم لى بما كان من ذلك قال يا بنى فما عسيت أن تعلم فقلت والله لهو أحب الى الناس من ضياء ابصارهم ، قال إن ذلك لكذلك على رغم ابيك و سخطه ، قلت يا أبتى أفلا تجلى عن فعله بموقف فى الناس تبين ذلك لهم ، قال و كيف لى بذلك مع ما ذكرت انه احب الى الناس من ضياء ابصارهم إذن يرضخ رأس أبيك بالجندل ، قال ابن عمر ، ثم تجاسر والله فجسر ، فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا فى الناس فقال ، ايها الناس ، ان بيعة ابى بكر فلتة و قى الله المسلمين شرها فمن دعاكم الى مثلها فاقتلوه »

و عن مجالد بن سعيد (١) قال غدوت يوماً الى الشعبى و انا اريد أن أسأله عن شئ بلغنى عن ابن مسعود ، انه كان يقوله ، فأتيته و هو فى مسجد حيه وفى المسجد قوم ينتظرونه ، فخرج فتعرفت اليه و قلت له

١ ـ راجع شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد طبع مصر ـ ١ ـ ١٢٤

اصلحك الله كان ابن مسعود يقول، ماكنت محدثا قوماً حديثاً الا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة ، قال نعم كان ابن مسعود يقول ذلك و كان ابن عباس يقوله ايضاً، وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها اهلها ويصرفها عن غيرهم فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الازد فجلس الينا فأخذنا في ذكر ابى بكر و عمر فضحك الشعبى و قال لقد كان فى صدر عمر ضب على أبى بكر فقال الازدى والله مارأينا ولاسمعنا برجل قط كان أسلس قياداً لرجل ولا اقول فيه بالجميل من عمر لابى بكر فأقبل على الشعبى و قال هذا ما سألت عنه ثم أقبل على الرجل و قال يا أخا الازد فكيف تصنع بالفلتة التى وقى الله شرها ، أترى عدواً يقول فى عدو يريد أن يهدم ما بنى لنفسه فى الناس اكثر من قول عمر فى أبى بكر فقال الرجل سبحان الله أنت تقول ذلك يا أبا عمرو فقال الشعبى أنا اقوله ، قاله عمر بن الخطاب على رؤس الاشهاد فلمه أو دع ، قال مجالد فقلت للشعبى ما أحسب هذا الرجل الاسينقل عنك هذا الكلام الى الناس ويبثه فيهم، قال والله لا أحفل به وشئ لم يحفل به عمر حين قام على رؤوس الاشهاد من المهاجرين و الانصار أحفل به أنا ، و اذ يعوه عني ايضاً ما بدالكم .

و عن أبى موسى الاشعرى (١) قال : حججت مع عمر فلما نزلنا وعظم الناس خرجت مع رحلى أريده فلقينى المغيرة بن شعبة فرافقنى ثم قال اين تريد فقلت امير المؤمنين فهل لك ، قال نعم، فانطلقنا نريد رحل عمر ، فانا لفى طريقنا اذ ذكرنا عمرو قيامه بما هو فيه و حياطته على الاسلام و نهوضه بما قبله من ذلك ، ثم خرجنا الى ذكر ابى بكر فقلت

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد طبع مصر-١- ١٢٥

للمغيرة ، يا لك الخير لقد كان ابو بكر مسدداً فى عمر لكأنه ينظر الى قيامه من بعده وجده و اجتهادة و عنائه فى الاسلام ، فقال المغيرة ، لقد كان ذلك و إن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه و ماكان لهم فى ذلك من حظ ، فقلت له لا ابالك ، و من القوم الذين كرهوا ذالك لعمر ، فقال المغيرة لله أنت كأنك لا تعرف هذا الحى من قريش و ما خصوا به من الحسد فو الله لو كان الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة اعشار وللناس كلهم عشر فقلت مه يا مغيرة فان قريشاً بانت بفضلها على الناس فلم نزل فى مثل ذلك حتى انتهينا الى رحل عمر فلم نجده ، فسألنا عنه فقيل قد خرج آنفاً ، فمضينا نقفوا اثره حتى دخلنا المسجد فاذا عمر يطوف بالبيت ، فطفنا معه فلما فرغ دخل بينى و بين المغيرة فتوكأ على المغيرة وقال من أين جئتما ، فقلنا خرجنا نريدك يا امير المؤمنين فأتينا رحلك فقيل لنا خرج الى المسجد فاتبعناك ، فقال اتبعكما الخير ، ثم نظر المغيرة الى فتبسم ، فرمقه عمر ، فقال مم تبسمت أيها العبد فقال من حديث كنت انا و ابو موسى فيه آنفاً فى طريقنا اليك قال و ما ذاك الحديث فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش وذكر من اراد صرف ابى بكر عن استخلافه فتنفس الصعداء ثم قال ، ثكلتك امك يا مغيرة ، و ما تسعة اعشار العشر و فى الناس كلم عشر العشر ، بل وقريش شركاؤهم ايضاً فيه وسكت ملياً و هو يتهادى بيننا ، ثم قال الا اخبركما بأحسد قريش كلها ، قلنا بلى يا امير المؤمنين ، قال و عليكما ثيابكما ، قلنا نعم قال وكيف بذلك و أنتما ملبسان ثيابكما ، قلنا يا امير المؤمنين و ما بال الثياب ، قال خوف الاذاعة منها ، قلنا له ، اتخاف الاذاعة من الثياب انت ، و انت من ملبس الثياب

أخوف، و ما الثياب أردت، قال هو ذاك ثم انطلق و انطلقنا معه حتى انتهينا الى رحله، فخلى أيدينا من يده ثم قال لا تريما و دخل، فقلت للمغيرة لا ابا لك لقد اثرنا بكلام منا معه و ما كنا فيه، و ما نراه حبسنا الا ليذاكرنا اياها، قال ابوموسى. فانا لكذلك اذ أخرج اذنه الينا، فقال ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقياً على برذعة برحل، فلما رآنا تمثل بقول كعب بن زهير.

لا تفش سرك الا عند ذى ثقة　　　أولى وأفضل ما استودعت اسرارا
صدرا رحيباً وقلبا واسعا قمنا　　　ان لا تخاف متى اودعت اظهارا

فعلمنا انه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت انا له يا امير المؤمنين الزمنا و خصنا و صلنا، قال بما ذا يا اخا الا شعريين فقلت بافشاء سرك و أن تشركنا فى همك فنعم المستشاران نحن لك قال انكما كذلك فاسألا عما بدا لكما ثم قام الى الباب ليغلقه فاذا الآذن الذى اذن لنا عليه فى الحجرة، فقال امض عنا لا ام لك فخرج و أغلق الباب خلفه، ثم اقبل علينا فجلس معنا و قال سلا تخبرا قلنا نريد أن يخبرنا امير المؤمنين بأحسد قريش الذى لا يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال سألتما عن معضلة و سأخبركما فليكن عندكما ذمة منيعة وحرزما بقيت، فاذا مت فشأنكما و ما شئتما من اظهار أو كتمان، قلنا فان لك عندنا ذلك، قال أبوموسى و انا اقول فى نفسى ما يريد الا الذين كرهوا استخلاف ابى بكر له كطلحة وغيره، فانهم قالوا لابى بكر، أتستخلف علينا فظا غليظا، و اذا هو يذهب الى غير ما فى نفسى فعاد الى التنفس ثم قال من تريانه، قلنا و الله ما ندرى الا ظنا، قال و من تظنان، قلنا عساك تريد القوم الذين ارادوا

أبا بكر على صرف هذا الامر عنك ، قال كلا و الله بل كان أبو بكر أعق و هو الذى سألتماعنه ،كان و الله أحسد قريش كلها، ثم أطرق طويلا ، فنظر المغيرة الى و نظرت اليه وأطرقنا ملياً لا طراقه و طال السكوت منا ومنه حتى ظننا انه قد ندم على ما بدا منه ثم قال و الهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة - يعنى ابا بكر - لقد تقدمنى ظالماً و خرج الى منها آثما - الى ان قال . و لقد عاتبنى مرة على كلام بلغه عنى وذلك لما قدم عليه بالاشعث أسيراً فمن عليه وأطلقه ، فقلت للاشعث و هو جالس بين يديه ، يا عدو الله اكفرت بعد اسلامك و ارتددت ناكصا على عقبيك فنظر الى نظراً علمت انه يريد أن يكلمنى بكلام فى نفسه ، ثم لقينى بعد ذلك فى سكك المدينة ، فقال لى انت صاحب الكلام يابن الخطاب فقلت نعم ياعدوالله و لك عندى شر من ذلك فقال بئس الجزاء هذا لى منك قلت و علام تريد منى حسن الجزاء قال لأنفتى لك من اتباع هذا الرجل و الله ما جرأنى على الخلاف عليه الا تقدمه عليك ، قلت لقد كان ذلك فما تأمر الان، قال انه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ومضى ومضيت و لقى الاشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ماجرى بينى و بينه فنقل ذلك الى أبى بكر فأرسل الى بعتاب مؤلم ، فارسلت اليه اما و الله لتكفن أولاقولن كلمة -١- بالغة بى و بك فى الناس تحملها الركبان حيث ساروا

---

١ - ليتنى علمت بما كان يريد أن يقول الخليفة عمر بن الخطاب وليتنى دريت بتلك الكلمة التى تبلغ به وبأبى بكر فى الناس الى حد تحملها الركبان حيث ساروا لأبد و أن تكون كلمة مهمة جدا بحيث يقدم ابو بكر خلافة المسلمين برمتها رشوة على كتمانها : و مايدرينا لعلها حديث سمعه من

و إن شئت استد منا ما نحن فيه عفوا ، فقال بل نستد بمه و انها ـ يعنى الخلافة ـ لصائرة اليك بعد ايام، فظننت انه لايأتى عليه جمعة حتى يردها على ، فتغافل والله ماذكرنى بعد ذلك حتى هلك و لقد مد فى أمدها عاضاً على نواجذه حتى حضره الموت و آيس منها فكان منه ما رأيتما ».

و بعد. فمارأى القارى الكريم فى يوم السقيفة و بماذا يحكم على ما وقع فيها من البيعة . أليست خلافة مثل هذه قامت على القوة والرشوة واختلاف المسلمين جديرة و حقيقة با لرفض نترك الحكم لاولى الألباب .

ولست ادرى و الله ولا المنجم يدرى كيف يدعى المدعون قيام الاجماع على خلافة ابى بكر و بيعته و قد عرفنا فيما تقدم ان اغلب المسلمين امتنعوا عنها وكرهوها الى أبعد حد .

نعم اللهم الا أن يكون ابوعبيدة ـ ولم يبايع طوعاً برغبة سواه ـ يمثل اهل المدينة من المهاجرين و الانصار ولو كرها ، و اهل المدينة يمثلون جميع المسلمين فى جميع اطراف الرقعة الاسلامية و إن سخطوا ولم يرضوا بذلك، وحينئذ يرتفع الاشكال من أصله و يتوجه الأدعاء بالاجماع ، ويكون الاجماع فى عرف هولاء شيئاً خاصاً مز يجاً من السخط والاكراه قداصطلحوا عليه فيما بينهم ولامشاحة فى الاصطلاح ..

رسول الله ـص ـ فى حقه و حق صاحبه فانه قد صحب النبى و سمع منه أحاديثاً كثيرة لعل هذا من جملتها . أولعله يريد أن يرفع الستار عن اجتماع خاص سرى عقدا فيه ما عقدا أولعله يريد أن يذكر الناس بحديث يوم الغدير أو أو . أو غير ذلك لست ادرى وكل هذا محتمل والله اعلم بالسرائر و ما تخفى الصدور :

و مهما يكن من شيء فلسنا الان بصد ده ، انما يهمنا أن نعرف موقف صاحبنا قيس فى ذلك اليوم الذى سقنا كل هذه المقدمة لاجله وهذا التاريخ يحدثنا بحديث لم يختلف فيه المؤرخون عن موقفه الحكيم الرزين و يخبرنا عن امتناعه عن بيعة ابى بكر و انه كان يرى الخلافة و قفا على صاحب بيعة يوم الغدير امير المؤمنين علي عليه السلام..

ولا حاجة الى الاستشهاد بأقوال المؤرخين فاينما يولى القارى وجهه فى كتب التاريخ يجد ذلك امامه ثابتا

ومن الغريب انا لم نجد حديثا أو مجلسا ـ على كثرة ما بحثنا فى التاريخ ـ يجمع صاحبنا مع الخليفة ابى بكر نستطيع أن نستكشف منه شعور ابى بكر تجاهه . الا اللهم حديث الطوق و هو حديث طويل عريض صور فيه بعض المورخين قيساً فى مجلس عصيب رهيب تدور فيه معركة حامية قوية من الخصام بينه و بين ابى بكر ويجرى بينها نزاع حاد شديد ينتهى باستياء المتنازعين و بخروج سيدنا قيس من المجلس غاضبا

ولمّا كنّا مرتابين فى هذا الحديث لا نعتقد بصحته اعرضنا عن ذكره فليرجع اليه من يشاء وليحكم عليه بما يريد .

أما موقفه من ابيه سعد حين طلب الخلافة لنفسه فهو موقف السخط و الانكار كما دل عليه حديثه مع ابيه سعد بعد يوم السقيفة ..

يقول أبى(١) ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً بعد يوم السقيفة فذكر

---

٢ ـ عن ابن ابى الحديد فى شرح النهج طبع مصر ـ ٢ ـ ١٨ ـ

امرأ من امره نسيه الراوى ـ ابو الحسن ـ (١) يوجب ولايته فقال له ابنه قيس. انت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا فى على بن ابى طالب ثم تطلب الخلافة ويقول اصحابك منا أمير ومنكم أمير. لاكلمتك من رأسى والله كلمة واحدة ابدا



١ ـ لعل الراوى تناسى ذلك وهكذا أظن

علی عہد عمر

أما والله لقد تقمصها ابن ابى قحافة ، و انه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عنى السيل ، ولا يرقى الى الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، و طويت عنها كشحا و طفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء ، او أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت الصبر على هاتا احجى ،فصبرت وفى العين قذى ، و فى الحلق شجى ، أرى تراثى نهبا ، حتى مضى الاول لسبيله ، فادلى بها الى ابن الخطاب بعده -١-

وهكذا كان اميرالمؤمنين على عليه السلام يرفع ظلامته بين حين وآخر و يعلن للملا الاسلامى شكواه ممن زاحمه على مكانه الذى ارتضاه له الله تعالى و اختاره النبى و فرضته المصلحة العامة و نصت عليه السنة المقدسة و طالما كان يصرخ بين جماهير المسلمين بأمثال هذه الصرخات الداوية ليعلم من علم عن بينة و يحيى من حى عن بينة ، و لتتم الحجة البالغة على الناس ..

ولكن اين جماهير المسلمين من هذه الصرخات فقد حال حب الدنيا بينهم و بينها حتى كان فى آذانهم وقرا فلم يسمعوا منها قليلا ولا كثيرا ..

و على كل حال فقد تقلد الخلافة عمر بن الخطاب بنص خاص من ابى بكر فأقبل على الناس بدرته يسوم مخالفيه سوء العذاب حتى استتب له الامر و انقاد الناس -طوعاً و كرهاً- الى طاعته ..

و هنا يحق للقارى الكريم أن يتسائل عن سر هذا النص وعن خصوص

---

١ -من خطبة الامام على-ع- المشهورة بالشقشقية

كونه على عمر بن الخطاب، بعد أن عدلت الامة عن العمل بالنص ورجعت في امرها الى الاختيار، ومع أن في الامة صاحب الحق الشرعي الاول واعلم الناس جميعا - باعتراف الجميع - امير المؤمنين علياً عليه السلام ..

والجواب بسيط و بسيط جداً فمن يتفضل و يراجع الفصل السابق يعلم جيداً بأن ابابكر كان مضطراً - بحكم تواطئه مع عمر - على العمل بالنص وبالنص الخاص على عمر لاغير وزيره الامين و مستشاره المؤتمن، وساعده القوى في سقيفة بني ساعدة شاء ذلك المسلمون أو أبوا ..

على ان عمر بغلظته وشدته لم يكن ليرضاه المسلمون اميراً وخليفة عليهم و قد بلغ كره بعض اصحاب رسول الله -ص- لخلافته الى حد التصريح و هذا التاريخ يحفظ لنا بين ثناياه حديث طلحة بن عبيدالله مع أبي بكر لما علم بانه اوصى باستخلافه .فقدروى ابن ابي الحديد (١) ان طلحة دخل على ابي بكر في مرضه و قال له، بلغني انك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، و قد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به اذا خلابهم، وأنت غداً لاق ربك فيسألك عن رعيتك ..

ابوبكر - غاضبا يصيح - اجلسوني .

الحاضرون - يجلسونه

ابوبكر - لطلحة - أبالله تخوفني، اذا لقيت ربي فيسألني قلت استخلفت عليهم خير أهلك

طلحة - بتعجب و استنكار - أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله

ابوبكر - بحده - اى والله هو خيرهم و انت شرهم . أما والله لو وليتك لجعلت انفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو

(١) - راجع شرح نهج البلاغه طبع مصر -١- ١٣٤

الذى يضعها . قم لا اقام الله رجليك . أما والله لئن عشت فواق ناقة وبلغنى انك غمصته فيها أو ذكرته لألحقنك بحضات قنة حيث كنتم تسقون ولا تروون و ترعون ولا تشبعون و انتم بذلك الحجون راضون

يقول الراوى فقام طلحة من ابى بكر و خرج غاضبا

أضف الى ذلك جهل عمر بأحكام الله و تردده الكثير فى الفتيا و القضاء فقد جاء فى شرح نهج البلاغة (١) لابن ابى الحديد يقول . وكان عمر يفتى كثيراً بالحكم ثم ينقضه و يفتى بضده و خلافه ، قضى فى الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم فى هذه المسئلة فسكت ..

وخطب مرة - (٢) - فقال : لايبلغنى ان امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبى الا ارتجعت ذلك منها فقالت له امرأة - وكانت حاضرة - ما جعل الله ذلك لك ، انه تعالى قال - و آتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا و اثما مبينا - فخجل عمر و قال كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال ، ألا تعجبون من امام اخطأ وامرأة أصابت فاضلت امامكم ففضلته

و مر يوما بشاب من فتيان الانصار و هو ضمآن فاستسقاه فجدح له الشاب ماء بعسل فلم يشربه و قال ان الله تعالى يقول - اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا - فقال له الشاب . يا امير المؤمنين انها ليست لك ولا لاحد من اهل هذه القبلة اقرأ ما قبلها - ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا - فخجل عمر وتناول القدح من الشاب وهو يقول : كل الناس افقه من عمر

---

(١) -١- ٦١ -

٢ - هذه الروايه و ما بعدها من الروايتين تجدها فى شرح النهج للمعتزلى -١- ٦١-

و مر ليلة في طريق فسمع صوت رجل وأمرأة في بيت فارتاب في أمرهما ، فتسور الحائط عليهما فوجد امرأة و رجلا و عندهمازق من خمر فقال للرجل . يا عدوالله أ كنت ترى ان الله يسترك و أنت على معصيته ، فقال الرجل يا امير المؤمنين إن كنت انا اخطأت في واحدة فقد أخطأت انت في ثلاث. قال الله تعالى ـ ولا تجسسوا وقد تجسست وقال ـ و أتوا البيوت من ابوابها ـ وقد تسورت ، و قال ـ و اذا دخلتم بيوتا فسلموا و ماسلمت فنزل عمر خجلا من حيث تسلق و هو يقول كل الناس افقه من عمر

هذا و غلطاته كثيرة جدا ، و أخطاؤه تتجاوز الحصر ، ولو أردنا أن نذكرها جميعاً لضاق بها هذا الكتاب نكتفي بما ذكرناه على سبيل الاستطراد ، لتعلم انه كان كأخيه من قبل انما فرض على المسلمين فرضا من دون رضى منهم وبغير اختيار .

و مما يوجب الدهشة و يثير الاعجاب آقرار الخليفة عمر نفسه للامام بالا فضلية و اعترافه الصريح بانه أحق و اولى الناس بالامر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله. واليك مارواه الحسين ابن محمد السيني (١) قال نزلت بعمر نازله فقام لها وقعد وترنح لها وتقطر وقال لمن عنده معشر الحاضرين ماتقولون في هذا الامر . فقالوا يا اميرالمؤمنين ، أنت المفزع والمنزع فغضب وقال ـ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ـ ثم قال أما والله اني و اياكم لنعلم ابن نجدتها ، و الخبير بها ، قالوا كانك أردت ابن ابي طالب قال . و أني يعدل بي عنه و هل طفحت حرة مثله ، قالوا فلو دعوت به يا امير المؤمنين قال هيهات ، ان هناك شمخاً من هاشم ،

---

(١) ذكره هذه الرواية ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ـ٣ـ١١٤ـ فوقعت ثقيلة على قلبه فلم يسعه أن يأولها على مايريد فشكك فيها

واثرة من علم ، و لحمة من رسول الله - ص - يوتى ولا ياتى ، فامضوا بنا اليه ، فأقصفوا نحوه وأفضوا اليه ، فألفوه فى حائط له عليه تبان وهو يتركل على مسحاته و يقرأ - أيحسب الانسان أن يترك سدى الى آخر السورة ، و دموعه تهمى على خديه، فأجهش الناس لبكائه فبكوا ، ثم سكت وسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها ، فقال عمر أما والله لقد أرادك الحق ولكن أبى قومك فقال يا ابا حفص خفض عليك من هنا ومن هنا ، ان يوم الفصل كان ميقاتا ، فوضع عمر احدى يديه على الاخرى و أطرق الى الارض وخرج كأنما ينظر فى رماد .

و روى ابو بكر الانبارى فى اماليه قال ان عليا عليه السلام جلس الى عمر فى المسجد و عنده ناس ، فلما قام عرض احد الجالسين بذكره و نسبه الى التيه و العجب فقال عمر حق لمثله أن يتيه و الله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام ، و هو بعد أقضى الامة و ذو سابقتها و ذو شرفها ، فقال له ذلك القائل . فما منعكم يا امير المؤمنين عنه قال كرهناه على حداثة السن وحبه بنى عبدالمطلب -١- .

و عن ابن عباس -٢- قال انى لاماشى عمر فى سكة من سكك

١- علق ابن ابى الحديد على هذا الخبر بعد ان ذكره فى شرح النهج -٣- ١١٥- فقال ، سألت ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابى زيد وقد قرأت هذه الرواية فقلت ما اراها الاتكاد تكون نصاً ، و لكن استبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى اله عليه وآله و سلم على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة ردنصه على الكعبة و شهر رمضان وغيرهما من معالم الدين فقال لى رحمه الله . ابيت الا ميلا الى المعتزله .

٢- انظر شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد طبع مصر -٢- ١٨- .

المدينة ، يده في يدي فقال يابن عباس ، ما اظن صاحبك - يعني الأمام - الامظلوماً، فقلت في نفسي والله لايسبقني بهافقلت ياامير المؤمنين فاردد اليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ثم مر يهمهم ساعة ، ثم وقف ، فلحقته، فقال لي يابن عباس ، ما اظن القوم منعهم من صاحبك الا انهم استصغروه ، فقلت في نفسي هذه شر من الاولى فقلت له ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر - الخبر - .

و ذكر ابن ابي الحديد -١- قال مر عمر بعلي و عنده ابن عباس بفناء داره فسلم فسألاه اين تريد فقال ، مالي بينبع ، قال له علي ، أفلا نصل جناحك و نقوم معك ، فقال بلى ، فقال لابن عباس ، قم معه ، قال فشبك اصابعه في اصابعي و مضى حتى اذا خلفنا البقيع ، قال يابن عباس أما والله ان كان صاحبك هذا اولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، الا انا خفناه على اثنين ، قال ابن عباس فجاء بمطنق لم أجد بدامعه من مسألته عنه ، فقلت يا امير المؤمنين ما هما ، قال خشيناه على حداثة السن وحبه بني عبدالمطلب » .

و روى ابو زيد -٢- قال حدثنا هارون بن عمر باسناد رفعه الى ابن عباس رحمه الله تعالى قال. تفرق الناس ليلة الجابية عن عمر فسار كل و احد مع إلفه ، ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثته فشكى الى تخلف علي عنه فقلت ، ألم يعتذر اليك ، قال بلى ، فقلت هو ما اعتذر به ، قال يابن عباس ، ان اول من راثكم عن هذا الامر ابو بكر ، ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة ، قلت لم ذاك ياامير المؤمنين

(١) - في شرح نهج البلاغة طبع مصر -١- ١٣٤ -
(٢) - « « « « - ٣ - ١١٤ -

ألم تعلمهم خيرا قال بلى ، ولكنم لوفعلوا لكنتم عليهم جحفـا جحفا » ،

و قال ابن عباس خرجت مع عمر الى الشام فى احدى خرجاتـه ،
فانفرد يوماً يسير على بعيره ، فاتبعته ، فقال لى يابن عباس ، اشكو اليـك
ابن عمك ، سألته أن يخرج معى فلم يفعل ،ولم أزل اراه واجدا ، فيم تظن
موجدته ، قلت يا امير المؤمنين ، انك لتعلم ، قال اظنهلا يزال كئيباً لفوت
الخلافة ، قلت هوذاك ، انه يزعم ان رسول الله اراد الامر له ، فقال يـا بن
عبـاس و اراد رسول الله له الامر فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلـك ،
ان رسوالله اراد ذلك ، و اراد الله غيره فنفذ مراد الله ، و لـم ينفـذ مراد
رسول الله ، أوكل ما اراد رسول الله كان » .

ولست ادرى بما ذا سيستقبل القارئ الكريم هذه الجمهرة من
الروايات ، وكلها اعتراف من الخليفة عمر للامام بالا فضلية عليه و علـى
جميع المسلمين ، وكلها اقرار بأنه أحق و اولى الناس بـالامر بعد وفـاة
رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، وفى الرواية الاخيرة تصريح منه بان
النبي اراد الخلافة للامام - وطبعا من طريق النص - والافمـا فائدة هذه
الارادة اذا لم تتجاوز القلب ، وكيف جاز للامام حينئذ أن يحتج بها على
الناس وقد احتج بها كثيراً ، ولكن الله تعالى لم يرد ذلك كما يزعم عمر ،
فكأنه لا يعلم ان ارادة النبى من ارادة الله وكأنه نسى قوله تعالى - و مـا
ينطق عن الهوى ان هو الى وحى يوحى - ولالوم على عمر فى ذلك فانه
كان حسبما يظهر كثير النسيان و قد نسى قبل هذا قوله تعالـى فى نبيـه
الكريم انك ميت و انهم ميتون - وقوله تعالى - أفان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم - حتى جاء ابو بكر و ذكره بهما ، فما ملك نفسه حيث

سمعهما دون أن سقط الى الارض . كما يقول في حديثه ـ١ـ

و الحق ان الخليفة عمر بن الخطاب كان اعرف الناس بمكانة الامام و فضله عليه و على سائر المسلمين و كان يعلم جيداً بظلمه له بتقدمه عليه و جلوسه في موضعه ، و قد عرض الخلافة يوماً على الامام و أراد أن يخلعها من عنقه اليه كما روى ذلك عبد العزيز بن الخطاب عن عمر بن قتاده ـ٢ـ قال لقي علي عمر يوما فقال له انشدك الله يا عمر، هل استخلفك رسول الله .

ـ لا .

ـ فكيف تصنع انت و صاحبك .

أما صاحبي فقد مضى لسبيله . و اما انا فسأخلعها من عنقي الى عنقك .

---

(١) روى جميع اصحاب السير . ان رسول الله ـص ـ لما توفي كان ابو بكر في منزله بالسنح فقام عمر بن الخطاب فقال . مامات رسول الله ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله . و ليرجعن فليقطعن ايدي رجال وارجلهم ممن ارجف بموته ـ ثم صاح ـ لا اسمع رجلا يقول مات رسول الله الاضربته بسيفي فجاء ابو بكر و كشف عن وجه رسول الله ـص ـ و قال بأبي انت و امي طبت حيا و ميتا والله لا يذيقك الله الموتتين ابداً . ثم خرج والناس حول عمر و هو يقول انه لم يمت و لا يموت ويؤكد لهم ذلك بالايمان المغلظه و يقسم لهم بالله عزا سمه فقال له ابو بكر ايها الحالف على رسلك . ثم التفت الى الناس وقال . ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمدا قدمات و من كان يعبد الله فان الله تعالى حي لا يموت قال الله تعالى انك ميت و انهم ميتون ـ و قال ـ افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم قال عمر فو الله ما ملكت نفسي حيت سمعتها أن سقطت الى الارض و علمت ان رسول الله قدمات راجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد طبع مصر ـ١ـ ١٢٨ ـ

(٢) جاء ذلك في شرح النهج للمعتزلي ـ١ ـ ٦١ ـ .

ـ جدع الله انف من ينقذك منها ، لا ولكن جعلنى الله علماً فإذا قمت فمن خالفنى ضل .

هذا والانصاف انه كان محكم السياسة ، صارم التنفيذ ، كثير الدهاء ، رفيع الهمة حازما الى أبعد حد، وقدكان عصره من ازهر العصور الاسلامية فقد توالت الفتوح للمسلمين و توسعت فيه الرقعة الاسلامية توسعا عظيما و قد اشترك معه سيدنا ومجاهدنا قيس فى فتح مصر ـ و إن كان بعيداً عنه برأيه وقلبه لانه كما تقدم كان يرى الخلافة وقفا على الامام علي ـ وكان له فى ذلك اليوم موقف تزل فيه الاقدام حتى دخلها فى جيش عمرو بن العاص واختط بها دارا . ثم كانت بعد ذلك لامير المؤمنين علي عليه السلام .

فی ایّام عثمان

و طالت حياة الخليفة عمر بن الخطاب على بنى أمية ، فعجلوا عليه بطعنة نجلاء على يد رائدهم ابى لؤلؤة ـ كما يقول العلايلى ـ ثم تقدم شيخهم عثمان بن عفان الى الخلافة ! و قد تمخضت الشورى عنه ، وقام بالامر ـ على حدتعبير الامام ـ نافجاً حضنيه ، بين نثيله و معتلفه ، و قام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع ، الى أن انتكث فتله ، و أجهز عليه عمله ، و كبت به بطنته .

و التاريخ و إن لم يحدثنا عن موقف سيدنا قيس تجاه الخليفة المخلوع بشئ من الحديث الا انا بحكم ايمانه وتقواه نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن اقل تأثراً و استياء من اخوانه الاخرين كمالك الاشتر ومحمد ابن ابى بكر وامثالهما الذين غضبوا لله فوقفوا فى وجه الظلم والاستبداد و دافعوا عن دينهم بكل ما اوتوا من حول و قوة حتى قضوا على الحركة الاموية بكل مافيها من عسف وجور و أراحوا العباد و البلاد من الطلقاء و ابناء الطلقاء

و انا لنعلم من حال صاحبنا ـ وقد نشأ فى خدمة النبى صلى الله عليه و آله وسلم و رأى ماكان يسود المسلمين فى عهده من الخير والصلاح ـ انه لايستطيع أن يرى بنى أمية يلعبون بعقائده ومقدساته ويتصرفون بأموال المسلمين و دمائهم و اعراضهم كيفما يشاء لهم الاستهتار و أن يهضم جميع ماكان يعمله مروان بن الحكم باسم الخليفة عثمان من الظلم والجور و البدع و المخالفة لاحكام الله .

على انه أبى أن يبايع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم للخليفة

الاول كما مر علينا ذلك فى الفصول السابقة مع ما كان عليه الخليفة ابو بكر من الاتزان و الكياسة و المحافظة جهده على ظواهر الاسلام فكيف به بالنسبة الى عثمان وكان رهن اشارة مروان يخالف الله سرا وجهرا و يعطل الحدود علنا و على رؤوس الاشهاد و يعطى اقربائه و بنى ابيه حقوق المسلمين عطاء من لا يخاف الفقر حتى ضجر المسلمون وحتى قال فى ذلك بعض الشعراء يخاطب عثمان .

احلف بالله رب الانام ... ما ترك الله شيئاً سدى
و لكن خلقت لنا فتنه ... لكن نبتلى بك او نبتلى
فان الامينين قد بينا ... منار الطريق عليه الهدى
فما اخذا درهماً غيلة ... ولا جعلا درهما فى هوى
واعطيت مروان خمس البلاد ... فهيهات سعيك ممن سعى (١)

(١) - يعنى الشاعر بخمس البلاد خمس ارمينية . فانها لما فتحت فى ايام عثمان اخذ خمسها كله فوهبه لمروان بن الحكم. وكان عثمان رجلا رقيق القلب كثير العطف على اقربائه وصولا لارحامه فقد وهب لمروان ايضاً مأة الف درهم و أقطعه فدكا و كانت لسيدة النساء فاطمة سلام الله عليها نحلها بها ابوها رسول الله -ص- و اقطع اخاه الحرث بن الحكم سوقا بالمدينة يعرف (بتهروز) وكان النبى قد تصدق به على المسلمين ، وأعطى عبدالله ابن خالد بن اسيد اربعمائة الف درهم واعطى الحكم بن ابى العاص طريد رسول الله -ص- مائة الف درهم و اعطى عبدالله ابن ابى سرح جميع ما افاء الله من فتح افريقية بالمغرب و هى من طرابلس الغرب الى طنجة من غير أن يشرك معه احداً من المسلمين . و اعطى ابا سفيان بن حرب مائتى الف ، و اتاه ابو موسى الاشعرى بأموال جليلة من العراق فقسمها كلها فى بنى أمية و اعطى الحكم بن الحكم مائة الف وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشى المسلمين جميعاً الا عن بنى امية ، و اعطى . و اعطى اقاربه و بنى ابيه حتى ضج خازن بيت مال المسلمين من ذلك .

و من العجيب جداً انا لم نجد صاحبنا قيساً ـ على كثرة ما بحثنا عنه ـ بين الصحابة والتابعين الذين كثر ترددهم فى التاريخ يوم الدار ولم نسمع له صوتا من بين تلك الاصوات المرتفعة العالية التى شقت عنان السماء دويا و ضجيجا ، و من البعيد جداً أن يقبع بطلنا فى زاوية بيته فى ذلك اليوم و يقتصر على التأثر النفسى و الاستياء فحسب و قد توسط اخوانه الميدان فى حين ان المنتظر منه أن يكون امام الامرين بالمعروف و الناهين عن المنكر و فى مقدمة الثوار و الناقمين .

و لعله لم يكن حاضرا حينذاك فى المدينة ،أو لعله رأى تدخل الاحزاب السياسية و اصحاب الاغراض الشخصية و الاطماع فارتفع بنفسه أن يكون معهم فى صف واحد فاعتزل فى بيته و قد قدر النتيجة المحتومة مكتفيا باخوانه الثائرين و معتمدا على مالابد من وقوعه وتحقيقه .

يقول عبدالرحمن بن يسار : رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة اذا امسى اتاها عثمان فقال له ادفعها الى الحكم ابن ابى العاص وكان عثمان اذا أجاز احداً من اهل بيته بجائزة جعلها فرضا من بيت المال فجعل يدافعه و يقول له يكون عندنا فنعطيك انشاء الله فألح عليه فقال انما انت خازن لنا فاذا اعطيناك فخذ و اذا سكتنا عنك فاسكت . فقال الخازن كذبت والله ما انا بخازن لك ولا لاهل بيتك انما انا خازن المسلمين وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب . فقال ايها الناس زعم عثمان انى خازن له ولاهل بيته و انما كنت خازناً للمسلمين . و هذه مفاتيح بيت مالكم ثم رمى بالمفاتيح فاخذها عثمان و دفعها الى زيد بن ثابت .

بیعت و نصیحت

ولما قتل الشيخ عثمان ، بادر المسلمون الى امير المؤمنين على عليه السلام ـ و قداجمع ملأهم على بيعته فجعلوا يتسابقون اليها و يتهافتون على أخذ يده و التسليم عليه بامرة المؤمنين .

و كان سيدنا قيس فى طليعة المبادرين اليه و فى مقدمة المتهافتين عليه و كان ينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر و يستقبل تلك الساعة الميمونة بكل رغبة و شوق . .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ـ بعد أن تعرضنا لبيعة الامام ـ بانها اول بيعة اسلامية شرعية صحيحة تقوم على أسس متينة وتبتنى على دعامة قوية من الاجماع والاختيار ، فقد بايع المسلمون الامام مختارين بيعة عامة لم يتخلف عنها متخلف سواء كان من المهاجرين أو الا نصار أو من غيرهما من سائر الطبقات . .

نعم تخلفت هناك شرذمة قليلة جدا لاتعدى العشرة أبوا عن البيعة لدواع و اطئة خسيسة و امتنعوا عما دخل فيه المسلمون لاحقاد بدر وحنين ولاغراض هناك شخصية .

يقول ابن الاثير فى كامله ـ و بايعت الانصار الانفير يسيرا منهم حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، و مسلمة بن مخلد ، و ابوسعيد الخدرى ، و محمد بن مسلمة ، و النعمان بن بشير ، و زيد بن ثابت ، و رافع بن خديج ، و فضالة بن عبيد ، و كعب بن عجرة ، وكان هولاء عثمانية . فأما حسان فكان شاعرا لايبالى ما يصنع ، و اما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال فلما حصر عثمان قال يامعشر الانصار كونوا انصار الله مرتين فقال له ابو ايوب ما تنصره الالانه اكثر لك من العبدان ، و اما

كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مزينة و ترك له ما اخذ منهم » ـ و قس عليهم ما سواهم .

و يقول الطبرى فى تاريخه ـ١ـ و بايع الناس علياً بالمدينة وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه ، منهم سعدبن ابى وقاص ، ومنهم ابن عمر ، وصهيب و زيد بن ثابت ، و محمد بن مسلمة ، و سلمة بن وقش ، و اسامة بن زيد ولم يتخلف احد من الانصار الا بايع فيما نعلم » ـ

على ان الامام عليه السلام قداطلق الحرية التامة للناس فى اختياره و لم يجبر احداً من المسلمين على بيعته و هذا اليعقوبى يحدثنا فى تاريخه عن ذلك و يقول ـ٢ـ ولما بايع الناس عليا عليه السلام بقى ثلاثة نفر من قريش مروان بن الحكم و سعيدبن العاص ، والوليد بن عقبة ـ وكان لسان القوم ـ فقال للامام يا هذا انك قدو ترتنا جميعا ، أما انا فقتلت ابى صبراً يوم بدر ، و أما سعيد فقتلت اباه يوم بدر وكان من نور قريش و أما مروان فشتمت اباه و عبت على عثمان حين ضمه اليه ، فتبايعنا على أن تضع عنا ما اصبنا و تعفى لنا عما فى ايدينا و تقتل قتلة صاحبنا ، فغضب على عليه السلام و قال أما ما ذكرت من و ترى آبائكم فالحق و تركم . و أما وضعى عنكم عما فى ايديكم فليس لى أن اضع حق الله و أما اعفائى عما فى ايديكم فما كان لله و للمسلمين فالعدل يسعكم . و أما قتلى قتلة عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لزمنى قتالهم غدا . و لكن لكم أن احملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه اضيق و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم فقال مروان بل نبايعك و نقيم معك فترى و نرى » ـ

(١) راجع تاريخ الامم والملوك الطبعة الاولى ـ٥ـ١٥٤ـ
(٢) ـ٢ـ ١٥٤

وهكذا كانت بيعة الامام عارية عن كل ارهاب او جبر و ليدة الرغبة و الاختيار و ما اصح مثل هذه البيعة و احقها بالتقدير والاعتراف.

و على كل حال فقد بايع الناس امير المؤمنين بيعة عامة و بايعه صاحبنا قيس وظل ملازما له يجد في خدمته و لا ينفك عن نصحه و اخلاصه . .

و لم يمض على بيعة الامام الا قليل حتى شاع بين الناس بأن معاوية ابن ابى سفيان قد وقف عن بيعة الامام و قال إن اقرني على الشام واعمالي التي ولانيها عثمان بايعته فجاء المغيرة بن شعبة -١- الى الام و جعل يقول

١ ـ المغيرة بن شعبة : فاسق منافق دجال ضال مضل وأحد الزناة المشهورين و له في ذلك قضايا كثيرة اضربنا عن ذكرها لشهرتها . قال ابن ابى الحديد ـ بعد أن فسقه و نقل فيه اشياء مخزية كثيرة ـ وكان اسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ولا انابة و نية جميلة .و الصحيح انه لم يزل كافرا الى أن مات عليه لعنة الله و انما استسلم خوفاً من القتل كما يحدثنا نفسه بذلك يقول : خرجت مع قوم من بنى مالك و نحن على دين الجاهلية الى المقوقس ملك مصر فدخلنا الى الاسكندرية و أهدينا للملك هدايا كانت معنا فكنت اهون اصحابى عليه . وقبض هدايا القوم و أمرلهم بجوائز و فضل بعضهم على بعض وقصر بى فأعطانى شيئاً قليلا لا ذكرله و خرجنا فأقبلت بنومالك يشترون هدايا لاهلهم وهم مسرورون . ولم يعرض احد منهم على مواساة فلما خرجوا حملوا معهم خمراً فكانوا يشربون منها فأشرب معهم و نفسى تأبى أن تدعنى معهم و قلت ينصرفون الى الطائف بما اصابوا و ما حباهم به الملك و يخبرون قومى بتقصيره بى وازدرائه اياى فأجمعت على قتلهم فقلت انى اجد صداعا فوضعوا شرابهم و دعونى فقلت راسى يصدع و لكن اجلسوا اسقيكم . فلم ينكروا من أمرى شيئاً فجلست اسقيهم و اشرب القدح بعد القدح فلما دبت الكاس فيهم اشتهوا الشراب فجعلت اصرف لهم و اترع الكاس فاهمدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون فوثبت اليهم فقتلتهم جميعاً و اخذت جميع ما كان معهم ، و قدمت المدينة

له يا امير المؤمنين ، ان النصح رخيص ، و انت بقية الناس ،و انى لك ناصح ،و انى اشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا - وكان الامام قد عزلهم - فاكتب اليهم باثباتهم على اعمالهم فاذا بايعوا لك و اطمأن الامر عزلت من احببت ، و أقررت من احببت ،

- و الله لا اداهن فى دينى ولا اعطى الدنى فى أمرى .

- فان كنت ابيت فانزع من شئت و اترك معاوية ، فان لمعاوية جرأة و هو فى اهل الشام يسمع منه ، و لك حجة فى اثباته ،كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها .

- اتظمن لى عمرى يا مغيرة فيما بين توليته الى خلعه .

- لا .

-لا يسألنى الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء ابدا و ما كنت متخذ المضلين عضدا ، لكن ابعث اليه و ادعوه الى ما فى يدى من الحق فان اجاب فرجل من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم و إن ابى حاكمته الى الله .

فقام المغيرة من عنده وهو يقول فحاكمه اذن ، فحاكمه اذن

ثم عاد اليه بعد ايام و قال له انى اشرت عليك بما اشرت به فأبيت على

فوجدت النبى بالمدينة و عنده ابو بكر و كان عارفا بى فلما رآنى قال ابن اخى عروة قلت نعم قد جئت للاسلام فقال اقبلت من مصر قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان بينى و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك فقتلتهم جميعاً و أخذت جميع ما كان معهم و جئت بها الى رسول الله ليخمسها فانها غنيمة من المشركين فقال النبى اما اسلامك فقد قبلته - وكان يقبل اسلام كل احد - ولا نأخذ من اموالهم شيئاً ولا نخمسها لان هذا غدر و الغدر لاخير فيه .

ثم نظرت فى الامر فاذا انت مصيب لاينبغى لك أن تأخذ امرك بخدعه ولا يكون فى امـرك ذلة فقام صاحبنا قيس ـ وكان حاضراً ـ و قد سائه نـفاق المغيرة و خبثه فقال . يا امير المؤمنين ، ان المغيرة اشار علـيك بأمر لـم يرد الله به ، فقدم رجلا و أخر فيه اخرى فان كان لك الغلبة يقرب اليك بالنصيحة ، و ان كانت لمعاوية يقرب اليه بالمشورة ثم انشأ يقول .

يكاد و من ارسى .بثيرا مكانه   مغيرة أن يقوى عليك معاويـة
و كنـت بحمـدالله فينا موفقاً   و تلك التى أرآكها غير كافيه
فسبحان من على السماء مكانها   و ارضادحاها فاستقرت كماهيه

فاستحسن الامام قوله و اثنى عليه كثـيراً للذى ابداه من الاخـلاص و النصيحة فقام المغيرة مفضوحا و خرج مذموما مدحوراً و هو يقول .

نصحت عليا فى ابن هند نصيحة   فرد فما منى لـه الـدهر ثانـيه
ولم يقبل النصح الذى جئته به   و كانت له تلك النصيحة كافيـه
و قالوا له ما اخلص النصح كله   فقـلت لـه ان النصيحـة غـاليه

إلى حرب الجمل

طلحة والزبير صحابيان جليلان لهما حظهما الوافر من الصحبة والجلالة و لهما فى خدمة الاسلام تاريخ مجيد حافل بالبطولة و التضحية ، و كانا لهذا و ذاك يتربعان فى صدر الاسلام على ذروة عالية من الكرامة و الشرف و يحتلان مكانا ساميا بين الناس يغبطهما عليه جملة من الصحابة و يحسدهما عليه كثير من اشراف المسلين و عظمائهم ،

و هما مع هذا كله من ارفع بيوتات المسلمين و من اجلها مقاما ومنزلة ، ومن النسب الصميم الصراح بحيث لا يرتاب فيهما المرتابون (١)

و مما يواخذ عليهما ـ والحق يقال ـ حبهما للدنيا ذلك الحب الملح القوى الشديد الذى انجرفا امامه طائعين او مكرهين حتى اسلمهما اخيراً الى الفناء فى هوة البصرة يوم الجمل .

و ما تحريضهما الناس على الخليفة عثمان حتى قتل و بيعتهما للامام طائعين اول الناس ثم نكثهما لتلك البيعة الموثقة بالايمان و العهود على غير حدث احدثه الامام و خروجهما الى حربه فى البصرة وقد زهقت فيهما

---

(١) طلحة . هو ابو محمد بن عبيدالله بن عثمان ابو عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة ابوه ابن عم ابى بكر وامه الصعبة بنت الحضرمى وكانت قبل أن تكون عند عبيدالله تحت ابى سفيان صخر بن حرب فطلقها ثم هاج به الوجد وندم على ما فعل فانشأ فيها ابياته المشهورة التى يقول فى مطلعها .

و انى وصعبة فيما ارى بعيد ان والود ود قريب

والزبير ـ هو ابو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى و امه صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة النبى ـ ص ـ .

ارواح الاف المسلمين و ذهب فيها كثير من الناس . ما هذه كلها الا بدافع هذا الحب الدنيوى الجنونى الغريب .

و مهما شك المؤرخون فلا يشكوا ـ و إن خلط بعضهم ـ فى بيعة طلحة و الزبير للامام وانهما كانا طائعين مختارين فى هذه البيعة لم يغصبا عليها غصبا و لم تأخذ منهما بالقوة و الجبر .

قال ابن الاثير ـ (١) ـ لما قتل عثمان اجتمع اصحات رسول الله صلى الله على و آله وسلم من المهاجرين و الانصار و فيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا انه لابد للناس من امام ، قال لاحاجة لى فى امركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك و ترددوا اليه مرارا و قالوا له فى آخر ذلك ، انا لا نعلم احداً احق به منك لا اقدم سابقة، ولا اقرب قرابة من رسول الله ، فقال لا تفعلوا فانى اكون و زيراً خيراً من إن اكون اميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ، قال ففى المسجد فان بيعتى لا تكون خفية ولا تكون الا فى المسجد ـ وكان فى بيته و قيل فى حائط لبنى عمرو بن مبذول ـ فخرج الى المسجد وعليه ازار و طاق و عمامة خز و نعلاه فى يده متوكئاً على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة و الزبير . »

و روى الطبرى عن عوف ـ (٢) ـ قال أما انا فاشهد انى سمعت محمد بن سيرين يقول . ان علياً جاء فقال لطلحة ابسط يدك يا طلحة لابايعك فقال طلحة انت احق، انت امير المؤمنين فابسط يدك قال فبسط يده فبايعه»ـ

---

(١) فى تاريخ الكامل ـ٣ـ ٧٤ .

(٢) فى تاريخ الامم و الملوك الطبعة الاولى ـ٥ ـ ١٥٦ .

و ذكر ابن ابى الحديد ـ (١) ـ قال و لما بايع الزبير قال له على عليه السلام انى لخائف ان تغدر بى و تنكث بيعتى ، قال لاتخاف فان ذلك لا يكون ابدا فقال عليه السلام فلى الله عليك بذلك راع و كفيل ، قال نعم الله لك على بذلك راع و كفيل .

على ان بيعتهما للامام اختيارا اشهر من أن تحتاج الى النقل أو التدليل والمهم أن نعلم اجمالا أن مرد جميع ما قام به طلحة والزبير من الاعمال الى ذلك الحب الدنيوى الجبار و انها لا ترتبط بالدين ولا تمت الى دم عثمان ولا الى صالح المجتمع الاسلامى بأدنى صله و لعل فى الاحاديث التى دارت بينهما و بين الامام دلالة واضحة على ماذكرناه .

يقول بكر بن عيسى ـ جاء طلحة و الزبير الى على بعد ما بايعاه بأيام فقالا له يا امير المؤمنين قد عرفت شدة مؤنة المدينة و كثرة عيالنا ، و ان عطائنا لا يسعنا قال فما تريدان نفعل قالا تعطينا من هذا المال ـ اى مال المسلمين ـ ما يسعنا فقال اطلبا الى الناس فان اجتمعوا على أن يعطو كما شيئا من حقوقهم فعلت قالا لم نكن لنطلب ذلك الى الناس ولم يكونوا يفعلوا لوطلبنا اليهم قال فانا و الله احرى ان لا افعل فانصرفا عنه خائبين ثم عاوداه بعد قليل و قالا له يا امير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة من ولاية عثمان كلها وعلمت رأى عثمان كان فى بنى امية ، و قد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض اعمالك فقال لهما . ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيى ، واعلما انى لا اشرك فى امانتى الا من أرضى بدينه وامانته من اصحابى و من قد عرفت دخيلته فانصرفا عنه يائسين منه و فى نفسيهما

---

(١) فى شرح نهج البلاغة طبع مصر ـ١ـ ٧٧ .

اشياء واشياء ظهرت على لسان محمدبن طلحة رسولهما الى الامام حين قالا له فيما قالا قل له ، يا ابا الحسن لقد فال فيك رأينا و خاب ظننا اصلحنا لك الامر ، و وطدنا لك الامرة و اجلبنا على عثمان حتى قتل ، فلما طلبك الناس لامرهم جئناك و اسرعنا اليك و بايعناك وقدنا اليك اعناق العرب و وطئ المهاجرون و الانصار اعقابنا فى بيعتك حتى اذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا و رفضتنا رفض التريكة ، و ملكت امرك الاشتر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الاعراب و نزاع الامصار ، فكنا فيما رجوناه منك كما قال الاول .

فكنت كمهريق الذى فى سقائه لرقراق آل فوق رابية صلد

فهما كما يصرحان فى هذا الحديث انما اصلحا للامام الامر و وطدا الامرة بدافع الطمع ، وهما انما اجلبا على عثمان حتى قتل بدافع الطمع و هما انما اسرعا اليه و بايعاه بدافع الطمع ، وهما و هما انما صنعا ذلك كله بدافع الطمع لاغير ألا قاتل الله الطمع فقد اذل اعناق الرجال و انساهم دينهم و ضميرهم و مرئتهم واخلاقهم و ذلك هو الخسران المبين

ولا غرابة إن نكث طلحة و الزبير بيعة الامام و غدرا به بعد تلك المواثيق و العهود التى اخذها الامام عليهما فقد كان ذلك متوقعا منهما وكان من المنتظر جدا أن يهربا من المدينة لمناوئته و حربه ما دام الامام لم يشبع رغبة الطمع فيهما من بيت مال المسلمين و مادام الامام لا يولى الامن يثق بدينه و امانته و خلقه وهولا يثق بهما بشئ من هذه الاشياء وما دام معاوية ابن ابى سفيان قد اغراهما بالامرة و مناهما بالخلافة و كتب الى طلحة كما كتب الى الزبير ـ لعبدالله الزبير امير المؤمنين

من معاوية ابن ابى سفيان . سلام عليك أما بعد فانى قد بايعت لك اهل الشام فاجابوا و استوسقوا كما يستوسق الحب ،فدونك الكوفة و البصرة لا يسبقك اليهما ابن ابى طالب فانه لاشئ بعد هذين المصرين و قد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فاظهرا الطلب بدم عثمان و ادعوا الناس الى ذلك ، و ليكن منكما الجد و التشمير أظفركما الله و خذل مناويكما »

و ماذا ياترى كان يجب على الامام أن يصنع معهما ، اتراه يستطيع أن يكيل لهما ما يسد نهمهما لمادى من بيت مال المسلمين و فيه حق العاجزو الضعيف و الشيخ الهرم والاملة المنقطعة واليتيم الصغير والعامل المسكين الذى تبخرت قواه كداً و نصبا وهبه كان يستطيع ذلك فمن يضمن له رضوخ المسلمين و عدم قيامهم بثورة كبرى يدافعون بها عن حقوقهم و اموالهم ، و لما ذا قتلوا الشيخ عثمان بالامس . ام تراه كان يجب عليه أن يوليهما على الكوفة و البصرة تلبية لطلبهما و استكفاء لشرهما ، و هل كان من الرأى حينذاك أن يتركهما و العراقين مهبط الرجال و كنز الاموال و هولا يأمن غائلتهما معه اعزلين فى المدينة يتقويان فيهما عليه بالرجال و الاموال و لهما الحجة عليه بعد ذلك بتأميره لهما و فيه شهادة لهما بالدين و الامانة والاخلاق وتزكية لهما ما فوقها تزكية .

اذن لم يبق الأن يحجر عليهما و يحبسهما فى المدينة عن الخروج فاين القوة الكافية لحبسهما و أنى له بذلك وهو فى اول خلافته والناس شيع و اهواء و نار الفتنة تتلظى تحت ستار خفيف من الخوف و الرجاء تتحين الفرصة للهيب والاستعار

على انه لا يأمن إن حبسهما أن ينتصر لهما غدا جماعة من المغفلين و ذوو الاغراض يطالبون باطلاقهما و يثأرون لهما فاما ان يطلق سراحهما و يخلى عنهما وفيه من تقويتهما و انكسار شوكته ما فيه و اما أن يصر على رأيه و يقابل الثوار بالقوة فقد وقع مما فرمنه من الفتنة و انشقاق عصا الامة فى عنفوان خلافته

و اذن فاقرب الطرق للسداد، أن يتركهما و شأنهما يبحثان عن حتفهما بظلفهما وهكذا فعل عليه السلام فقد سمح لهما بالعمرة لما استأذناه فيها و تركهما ـ بعد أن جددا البيعة و أخذ عليهما العهود والمواثيق ـ يسافران من المدينة الى مكة حيث تنتظرهما عائشة للخروج الى حربه.

ولم يكن له بد ايضاً ان يأخذ برأى صاحبه و قائده قيس ـ لما علم بخروجهما الى البصرة ـ ويخرج من المدينة فى الاثر لارجاعهما قبل أن يحدثا فى الاسلام مالم يكن و يوقعا الفتنة والفرقة فى صفوف المسلمين فقد قام اليه سيدنا ـ وكان قد علم بكتاب معاوية اليهما ـ و قال له يا اميرالمؤمنين ما على الارض احداحب الينا أن يقيم فينا منك، لانك نجمنا الذى نهتدى به، و مفزعنا الذى نصير اليه، و إن فقدناك لتظلمن ارضنا و سمائنا، ولكن والله لو خليت معاوية للمكر ليرومن مصر و ليفسدن اليمن، و ليطمعن فى العراق، و معه قوم يمانيون قد اشربوا قتل عثمان وقد اكتفوا بالظن عن العلم، و بالشك عن اليقين و بالهوى عن الخير فسر بأهل الحجاز و اهل العراق ثم ارمه بأمر يضيق فيه خناقه و يقصر

له من نفسه » (١) ـ فقال له الامام احسنت يا قيس والله واجملت ثم عزم على المسير الى البصرة

و تخلف جماعة عن المسير مع الامام الى البصرة فاشار عليه مالك الاشتر رضوان الله عليه باكراههم على الخروج فامتنع الامام من ذلك فغضب مالك و اعتزل عنه فمشى اليه صاحبنا قيس و قدآ لمه ان يعتزل مالك فى مثل هذه الازمة التى هى احوج ماتكون الى امثاله من الابطال المخلصين فاخذ يعظه و يكلمه بلهجة فيها شئ من الشدة و يقول له . يا مالك ، كلما ضاق صدرك بشئ اخرجته ، وكلما استبطأت امرا استعجلته ان ادب الصبر التسليم ، و ادب العجلة الاناة ، و ان شر القول ما ضاهى العيب ، و شر الرأى ما ضاهى التهمة ، فاذا ابتليت فاسئل ، و اذا امرت فأطع ، ولاتسأل قبل البلاء ، ولا تكلف قبل أن ينزل الامر ، فان مافى انفسنا ما فى نفسك ، فلا تشق على صاحبك » ـ و ما زال المهاجرون والانصار بمالك حتى رجع الى الامام و خرج معه ..

ولما وصل ركب الامام الى ـ ذى قار ـ بلغه ان اباموسى الاشعرى (٢)

---

١ ـ كلما أجيل النظر فى هذا الخبر اراه نابيا لا يتناسب وتلك الساعة التى استشار الامام فيها اصحابه بالخروج الى البصرة ولوجاز لاحد ان يغير النصوص التاريخيه لقلنا انه كان بعد حرب الجمل اشار به بطلنا قيس على الامام بالخروج الى حرب معاوية ولكن ما ورد لايغير والعهدة على عاتق المؤرخين

٢ ـ ابو موسى الاشعرى ـ هو. عبدالله بن قيس بن سليم بن حصار ابن حرب بن عامر بن عمر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن

يخذل الناس ويثبطهم عن الخروج الى نصرته ـ وكان قد ارسل من الربذه محمد ابن ابى بكر و محمد بن جعفر ليستنفرا اهل الكوفة ـ فغضب عليه السلام غضباً شديدا و أرسل ابنه الحسن عليه السلام و معه سيدنا قيس و عمار بن ياسر وكتب معهم الى اهل الكوفة ..

اما بعد فاني اخبركم من امر عثمان حتى يكون امره كالعيان

الجماهر بن الاشعر . و امه ابنة اود بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان ابن سبابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان دجالا مدلسا منافقا مرائيا كذابا و قد ذكره النبي ـص ـ لحذيفة لما اخبره بالمنافقين وذكر له اسمائهم . و قد ذكر عند حذيفة مرة بالدين فقال اما انتم فتقولون ذلك و اما انا فاشهد انه عدولله ولرسوله و حرب لهما في الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار

و عن عمار بن ياسر رضوان الله عليه وقد سئل عن ابى موسى ، قال : لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما ، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود ثم كلح كلوحا علمت انه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط الذين غضب عليهم النبي ولعنهم

و عن سويد بن غفلة . قال كنت مع ابى موسى الاشعرى على شاطى الفرات فى خلافة عثمان فروى لى خبراً عن رسول الله ـص ـ قال سمعته يقول ان بنى اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين أضلا من اتبعهما ولا ينفك أمر امتى بخير حتى يبعثوا حكمين يضلان من تبعهما. فقلت له احذر يا اباموسى ان تكون احدهما . قال فخلع قميصه و قال ابرأ الى الله من ذلك كما ابرأ من قميصى هذا .

وقال الامام (ع) ابوموسى صبغ بالعلم صبغاً وسلخ منه سلخا ،وكان يقنت الامام عليه و يلعنه دبر كل صلاة ويقول . اللهم العن معاوية اولا . و عمروا ثانيا . و ابا الاعور السلمى ثالثاً و ابا موسى الاشعرى رابعا

لكم . ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهـاجرين اظهر معه عتبه ، و أشقى به ، وكان طلحة و الزبير اهون سيرهما اليه الرجيف ، و قـد كان من أمرعايشه و قتله ما عرفتم ، فلما قتله الناس بايعونى ، غيرمستكرهين طائعين مختارين ، وكان طلحة و الزبير اول من بايعنى على ما بايعا به من كان قبلى ، ثم إستأذنانى فى العمرة ، ولم يكونا يريدان العمرة ، فنقضا العهد ، و اذنا فى الحرب، وأخرجا عـايشة من بيتها يتخذانها فتنة ، فسارا الى البصرة ، و اخترت السير اليهم معكم ، و لعمرى ايـاى تجيبون انمـا تجيبون الله و رسوله ، و قـدبعثت اليكم ولـدى الحسن وعمـاراً و قيساً مستنفرين لكم فكونوا عند ظنى بكم والسلام »

فلماوصلوا الى الكوفة تقدم الامام الزكى بالكتاب الى اهل الكوفة وقام خطيباً فيهم يحثهم على المسارعة و الخروج معة ثم اعقبه الصحابى الجليل عمار بن ياسر و تقدم صاحبنا الى الناس و نـادى عـاليا . يا ايهـا الناس ، ان هذا الامر لو استقبلنا به الشورى لكان على احـق الناس به فـى سابقته وهجرته وعلمه ومكانه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلـم وكان قتال من أبى ذلك حلالا ، فكيف والحجة قامت على طلحة والزبير و قد بايعاه طوعاً ثم خلعا حسداً و بغيا ، و قد جائكم على فـى المجاجرين والانصار ثم انشأ يقول (١)

رضينـا بقسم الله اذ كان قسمنـا   علیـاً و ابناء الـرسول محمـد

---

١ ـ روى هذه الابيات لصاحبنا قيس الشيخ المفيد اعلى الله مقامه فى كتابه النصرة الى حرب البصرة و رواها العلامة المجلسى فى البحار للنجاشى بتحريف كثير

و قلنا لهم اهلا وسهلا ومرحبا نمد يدينا من هوى و تودد
فما للزبير الناقض العهد حرمة ولا لاخيه طلحة فيه من يد
اتاكم سليل المصطفى و وصيه و انتم بحمدالله عارضه الندى
فمن قائم يرجى بخيل الى الوغى وصم العوالى والصفيح المهند
يسوّد من ادناه غير مدافع و ان كان ما نقضيه غير مسود
فان يك ما نهوى فذاك نريده و إن نخط ما نهوى فغير تعمد

فلما فرغ قام ابو موسى الاشعرى و خذل الناس عن نصرة الامام وكانوا قد نشطوا و حركهم خطيبنا بلهجته فقامت بين اهل الكوفة زوبعة عالية من النزاع القوى بين راغب فى الخروج و ممتنع عنه و هكذا ظل النزاع اياماً عديدة حتى قدم مالك الاشتر رضوان الله عليه الى الكوفة و اخرج منها ابا موسى و عزله فنفر الناس متخففين مع الامام الحسن فلما رأى سيدنا كثرة من خرج من الكوفة لنصرة الامام انشأ يقول مسروراً .

جزى الله اهل الكوفة اليوم نصرة اجابوا ولم يأبوا بخدلان من خذلْ
و قالوا على خير حافل و نا عل رضينا به من ناقضى العهد من بدل
هما ابرزا زوج النبى محمد وما هكذا الانصاف اعظم بذا المثل
فهل بعد هذا من مقال لقائل ألا قبح الله الا مانى و العلل

ولما وصل اهل الكوفة الى الامام وكان لم يزل ينتظرهم فى ذى قار - ساربهم الى البصرة حتى نزل قريباً منها ثم كتب الكتائب و عين القواد فعهد الى بطلنا المغوار بكتيبة خشناء يتولى قيادتها و يدير شئونها .

يقول المنذر بن الجارود . لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل

مما يلى الطف فأتى الزاوية فخرجت انظر اليه فوردت المـواكب يتـلو بعضها بعضا و مر على الامراء و القواد و احداً بعد آخر حتى مر على فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض و قلنسوة بيضاء و عمامة صـفراء متنـكب قوسا ، متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى الف فارس من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة و البياض معه راية صفراء فقلت مـن هذا قـيل هـذا قيس بن سعد بن عبادة فى الا نصار و ابنائهم و غيرهم من قحطـان ثـم تتابعت الرايات حتى نزل الجيش جميعه بالزاوية فصلى على اربع ركعات و دعى الله أن يحقن دماء المسلمين و بعث الى طلحة و الزبير يناشد هما الله فى الدماء فأبوا وزحفوا اليه و ابتدؤه فى القتال فاشتبك الناس واقتتلوا قتالا شديدا فما انجلت الغبرة الا والنصر للامام عليه السلام .

امارۃ وسُلطان

و سار امير المؤمنين على عليه اسلام من البصرة ضافرا منصورا و توجه الى الكوفة و قائده قيس فى ركابه يسير بسيره و ينزل حيثما اراد .

و لم يكد يستقر الامام فى الكوفة حتى بلغه قتل محمد ابن ابى حذيفة عامله على مصر و كان قد اقره عليها لما طرد عنها عامل عثمان و ذلك ان الثوار المصريين لما ساروا الى المدينة ثارهو بمصر على عامل عثمان عبدالله بن سعد ابن ابى سرح و أخرجه من مصر و تولى بنفسه ادارتها و ضبطها فلما رجع الثوار الى مصر دخلوا المسجد وصاحوا انا لسنا قتلة عثمان و لكن الله قتله فأغضب ذلك العثمانية و عقدوا لمعاوية بن خديج و بايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد و اعلن تمرده هناك ، فبعث اليهم محمد ابن ابى حذيفة جيشا التقى معهم ـ بقناس فانهزم اصحاب محمد ومضى معاوية بأصحابه حتى بلغ برقة ـ ١ ـ ثم رجع الى الاسكندرية ، فبعث اليهم محمد جيشا آخر بقيادة قيس بن حرمل فالتقى معهم بخربتا ـ ٢ ـ فى اول شهر رمضان سنة ست و ثلاثين من الهجرة

١ ـ برقة بفتح اوله و سكون ثانيه و فتح الثالث : اسم صقع كبير يشتمل على مدن و قرى بين الاسكندرية و افريقيه . و هى مدينة واسعة الخيرات كثيرة الفواكه قد افتتحها عمرو بن العاصى صلحا . وكان عبدالله بن عمرو ابن العاصى يقول . ما اعلم منزلا لرجل له عيال اسلم ولا اعزل من برقة ولولا اموالى بالحجاز لنزلت برقة .

٢ ـ خربتا ـ بفتح الخاء و كسر الراء وسكون الباء : قال القضاعى و هو يعد كور مصر ثم كور الحوف الغربى وهو حوالى الاسكندرية :

فقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل، فلما بلغ ذلك معاوية بن ابى سفيان استغل ضعف محمد بن ابى حذيفة وسار فى شوال بجيش كثيف فنزل سلمنت -١- من كورة عين شمس فخرج اليه محمد فى اهل مصر ومنعوه من دخولها فبعث معاوية الى محمد يقول له انا لا نريد قتال احد انما جئنا نسأل القود فامتنع عليه محمد و قال لو طلبت منا جدياً ارطب السرة بعثمان ما دفعناه اليك، فقال معاوية، اجعل بيننا و بينك رهنا فلا يكون بيننا و بينك حرب فقال محمد فانى ارضى بذلك، ثم استخلف على مصر الحكم بن الصلت ابن مخرمة وخرج هو و ابن عيسى و كنانة بن بشر و ابو شمر بن ابرهة وغيرهم ليعقد وامع معاوية عقد الهدنة فلما بلغوا - لد -٢- غدر بهم معاوية و سجنهم و سار راجعاً الى دمشق فهربوا من السجن و تبعهم صاحب فلسطين فقتلهم . فلما بلغ الامام ذلك بعث خلف صاحبنا قيس -٣- و أمره على مصر

١ - سلمنت كما يضبطها الحموى فى معجم البلدان - بفتح السين وسكون اللام و ضم الميم وسكون النون و تاء مثناة : موضع قرب عين شمس من نواحى مصر .

٢ - لد - بالضم و التشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين وفيها يقول المعلى بن طريف مولى المهدى :

يا صاح انى قد حججت   وزرت بيت المقدس
و أتيت لداً عامدا   فى عيد مارى سرجس
فرأيت فيه نسوة   مثل الضباء الكنس

٣ - اختلف المؤرخون فى تاريخ مسير اميرنا قيس الى مصر اختلافا كليا فمنهم من يقول انه سار بعد بيعة الامام قبل حرب الجمل كما عليه ابن ابى الحديد و الطبرى فى رواية سيف و ابن الاثير على رواية و غيرهم و منهم من يقول انه سار من الكوفة الى مصر بعد حرب الجمل كما عليه الطبرى و ابن الاثير فى رواية أخرى و كما نقلناه مفصلا فى الاصل عن المقريزى فى الخطط و هو الذى يظهر من تتبع القضايا التى يخيه و يترجح فى نظرنا .

و اوصاه بوصاياه و قال له فيما قال . سر الى مصر فقد وليتكها ، و اخرج الى رحلك فاجمع ثقاتك و من احببت أن يصحبك حتى تأتيـها و معـك جند فان ذلك ارعب لعدوك ، و اعزلوليك ، فاذا انت قدمتها إن شاء الله فأحسن الى المحسن ، و اشدد على المريب ، و ارفق بالعامة و الخاصة ، فالرفق يمن » فقال له قيس بلهجة الواثق بنفسه المعتد بآرائه و حـزمه رحمك الله يا امير مؤمنين ، قد فهمت ما ذكرت فاما الجند فانى ادعه لك فاذا احتجت اليهم كانوا قريباً منك ، وان اردت بعثهم الى وجه من وجوهك كانوالك عدة ، و لكن اسير الى مصر بنفسى و اهل بيتى فوالله لئـن لـم ادخلها الا بجند آتيها به لا ادخلها ابدا واما ما اوصيتنى به من الرفـق والاحسان فالله تعالى هوالمستعان على ذلك ـ ثم سارفى سبعة نفر من اهله فلما كان قريباً من (ايلة) ليقيته خيل فاو قفوه و اخذوا يسألونه .

ـ من انت .

ـ من قتلة عثمان .

ـ و الى اين تريد .

ـ الى مـصر .

ـ و ما تصنع .

ـ انا اطلب من آوى اليه فانتصر به لله .

ـ و من انت .

ـ قيس بن سعد .

ـ امض لشأنك .

فمضى حتى دخل مصرفى مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع و ثلاثين

فصعدالمنبر و أخذ يقرأ عليهم كتاب‌الامام ـ وكان قد كتب معه كتابا الى اهل مصر ـ بسم‌الله‌الرحمن‌الرحيم . من عبدالله اميرالمؤمنين الى من بلغه كتابى هذا من‌المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فانى احمد الله اليكم الذى لا اله الا هو . أما بعد فان الله بحسن صنيعه و تقديره وتدبيره اختار الاسلام ديناً لنفسه و ملائكته و رسله ، و بعث به‌الرسل الى عباده وخص به من‌الفضيلة أن بعث محمدا صلى‌الله عليه وسلم يعلمهم‌الكتاب والحكمة والسنة والفرائض ، لكيما يهتدوا ، و جمعهم لكيمالا يتفرقوا ، و زكاهم لكيما يتطهروا ، ووفقهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله اليه صلوات الله وسلامه عليه و بركاته ورحمته . ثم ان‌المسلمين استخلفوا من بعده أميرين‌صالحين فعملا بالكتاب والسنة، واحيا السيرة ، ولم يعدوا السنة ثم توفيا رحمهماالله ، فولى بعدهما وال احدث احداثا ، فوجدت‌الامة عليه مقالا فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا ، ثم جاؤنى فبايعونى و انا استهدى الله الهدى و استعينه على التقوى ، الا و ان لكم علينا العمل بكتاب الله و سنة نبية ، والقيام عليكم بحقه ، و قد بعثت اليكم قيس بن سعدبن عبادة اميراً فوازروه و اعينوه على الحق ، و قد امرته بالاحسان الى محسنكم ، و الشدة على مريبكم ، و الرفق بعوامكم و خواصكم ، وهوممن ارضى‌هديه ، وارجو صلاحه و نصحه ، نسأل الله لنا ولكم عملا زاكياً و ثوابا جزيلا و رحمة واسعة والسلام علكم ورحمة الله وبركاته »

و لما فرغ من قراءة الكتاب قام خطيباً فحمدالله و اثنى عليه و قال الحمد لله الذى جاء بالحق ، و امات الباطل و كبت الظالمين . ايهاالناس انا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله و سلم فقوموا

و بايعوا على كتاب الله و سنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم » ـ فقام الناس و بايعوا و استقامت مصر و اعمالها له فبعث عليها عماله الا ان قرية منها اعظم اهلها قتل عثمان و بها رجل من كنانة يقال له يزيدبن الحرث فبعث الى قيس انا لانأتيك فابعث عمالك فالارض ارضك ، ولكن اقرناعلى حالنا حتى ننظر الى ما يصير اليه امر الناس فأقره قيس على حاله و هادنه .

و وثب محمد بن مخلد بن الصامت الانصارى فنعى عثمان ودعى الى الطلب بدمه فأرسل اليه قيس . و يحك أعلى تثب ، والله ما احب ان لى ملك الشام و مصروانى قتلتك فاحقن دمك فارسل اليه محمد بن مسلمة يقول له انى كاف عنك مادمت انت والى مصر فبعث اليه انى لا اكرهك على البيعة ولكن ادعك واكف عنك و هادنه ايضاً و جبى الخراج وليس احد ينازعه ووفد عليه و فدهم فاكرمهم و احسن اليهم و دفع اعطياتهم و استقر تماما على مصر

مُعاویه و قیس

في تاريخ الاسلام صفحات ملؤها عظة و عبرة لو تدبرها المرء جيداً لكان لها اكبر الاثر في تعديل اوده وتقويم اخلاقه وتهذيب نفسيته ، وكانت وحدها كفيلة بأن تخلق منه شخصية مثالية فذة ترفعه عن حضيض الرذائل و تجعله في صفوف الملائكة المقربين .

و مما تطالعنا به بعض هذه الصفحات معركة سياسية هائلة تدور رحاها بين الرذيلة والفضيلة و بين المكروالدهاء ، و بين النفاق والايمان و بين اميرين سياسيين مشهورين ، بين من ثبت كفره و زندقته معاوية ابن ابي سفيان -١- اميرالشام و بين من ثبت ايمانه و تقواه قيس بن

١ - معاوية بن هند دعي تنازع فيه اربعة من الزناة . قال الزمخشري في ربيع الانوار . معاوية يعزى الى اربعة . الى مسافر ابن ابي عمرو و الى عمارة بن الوليد بن المغيرة و الى العباس بن عبدالمطلب والى الصباح مغني عمارة بن الوليد . وقد كان ابو سفيان دميما قصيرا و كان الصباح شابا و سيما فدعته هند الى نفسها فغشيها » - و هو مع هذا كافر زنديق قد تواترت الاخبار عن النبي بكفره وزندقته ، فمنها ما رواه جابر بن عبدالله قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يموت معاوية على غير ملتي و عن ابي حرب بن ابي الاسود عن رجل من اهل الشام عن ابيه قال سمعت رسول الله -ص- يقول . شرخلق الله خمسة . ابليس ، و ابن آدم الذي قتل اخاه ، و فرعون ذوالاوتاد . و رجل من بني اسرائيل ردهم عن دينهم . ورجل من هذه الامة يبايع على كفره عند باب - لد - قال الرجل اني لما رأيت معاوية بويع عند باب لد ذكرت قول رسول الله فلحقت بعلي فكنت معه وعن عبدالله بن عمر قال . قال رسول الله -ص- يموت معاوية على غير الاسلام و عن البراء بن عازب قال اقبل ابوسفيان و معه معاوية يتبعه فقال رسول الله ص - اللهم العن التابع و المتبوع ، اللهم عليك بالا قيعس قال البراء فقلت لابي ومن الاقيعس قال معاوية و عن عبدالله بن عمر قال . اتيت رسول الله -ص- فسمعته يقول : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت وهو على

سعد بن عبادة امير مصر .

فمعاوية قد ابى أن يبايع الامام و تمرد عن طاعته و اعلن عصيانه

غير سنتي فشق ذلك علي كثيرا و تركت ابي يلبس ثيابه و يجيء فطلع معاويه » ـ وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ـص ـ اذا رأيتم معاوية ابن ابی سفيان يخطب علی منبری فاقتلوه » و عن خيثمة قال قال ابن عمر . ان معاوية في تابوت في الدرك الاسفل من النار و لولا كلمة فرعون ، انا ربكم الاعلى ما كان احد اسفل من معاوية و عن سليمان بن عمرو بن الاعوص الازدی قال : اخبرنی هلال سمع ابا برزة الاسلمی يقول . كنت و جماعة مع رسول الله ـ ص ـ فسمعنا غناء فتشرفنا له فقام رجل فاستمع له وذلك قبل أن تحرم الخمر فاتاهم ثم رجع فقال هذا معاوية و عمرو بن العاص يجيب احد هما الاخر ويقول .

يزال حواری تلوح عظامه　　　　زوی الحرب عنه أن يحس فيقبرا

فرفع رسول الله ـص ـ يديه غاضبا الى السماء و قال اللهم اركسهم في الفتنة ركسا ، اللهم دعهم الى النار دعا » ـ وعن علی بن الاقمر قال و فدنا علي معاوية و قضينا حوائجنا، ثم قلنا لومررنا برجل قد شهد رسول الله ـص ـ و عاينه ، فأتينا عبد الله بن عمر ، فقلنا ياصاحب رسول الله حدثنا ماشهدت ومارأيت قال ، ان هذا ـ يعنی معاوية ـ ارسل الی يقول لئن بلغنی انك تحدث لاضربن عنقك ، فجثوت علی ركبتی بين يديه ثم قلت وددت ان احد سيف فی جندك علی عنقی فقال والله ماكنت لا قاتلك ولا اقتلك و ايم الله ما يمنعنی ان احدثكم بما سمعت رسول الله ـص ـ يقول فيه . قال ابن عمر ، ارسل رسول الله يدعو معاوية ـ وكان يكتب بين يديه ـ فجاء الرسول فقال هو يأكل فقال لااشبع الله بطنه فهل ترونه يشبع قال و خرج من فج فنظر رسول الله الى ابی سفيان وهو راكب و معه معاوية و اخوه احدهما قائد والاخر سائق فلما نظر اليهم النبی قال : اللهم العن القائد و السائق و الراكب قلنا انت سمعت من رسول الله قال نعم والا فصمتا اذ ناى كما عميت عيناى » ـ ولوكان يسعنا المجال لسردنا لك الف رواية من النبی علی كفره و زندقته و لكنا نكتفی بما ذكرناه فانه واف علی المطلوب .

امام الناس و ارسل رسوله به الى الامام و هو يعلم جيدا مغبة هذا التمرد و نتيجة ذلك العصيان و انه لا يصير الا الى الحرب العوان. فهو يريد أن يبقى اميرا على الشام و هو يخاف أن يقبل اليه الامام بأهل العراق و يقبل قيس بأهل مصر فيقع بينهما فلم ير بدا من أن يحتال على قيس ـ ليأمن جانبه ـ و يستميله اليه و يكتب اليه يمنيه و يرغبه على الدخول فى طاعته ويقول له في كتابه ـ من معاوية ابن ابى سفيان. الى قيس بن سعد، سلام عليك، أما بعد فانكم ان كنتم نقمتم على عثمان بن عفان، اثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتيمة رجل، أو فى تسييره آخر، أو فى استعماله الفتيان من اهله، فانكم علمتم إن كنتم تعلمون، ان دمه لم يكن يحل لكم بذلك، فقد ركبتم عظيما من الامر، و جئتم شيئاً ادا، فتب الى ربك عزوجل يا قيس ان كنت من المجلبين على عثمان، إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئاً، و أما صاحبك فقد استيقنا إنه الذى اغرى الناس به، و حملهم على قتله، حتى قتلوه، و انه لم يسلم من دمه عظم قومك، فان استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل و بايعنا على على فى امرنا هذا، ولك سلطان العراقين إن انا ظفرت ما بقيت ولمن احببت من اهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان، و سلنى غير هذا مما تحب فانك لا تسألنى شيئاً الا اوتيته، و اكتب الى برأيك فيما كتبت به اليك والسلام» ـ

فلم استلم اميرنا كتاب معاويه فهم ماأراد به فأحب أن يكيل له مكراً بمكر وأن يدافعه ولا يبدى له من امره شيئاً فكتب اليه.

أما بعد فقد وصل الى كتابك و فهمت الذى ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم اقارفه ولم أطف به. و ذكرت ان صاحبى هو الذى اغرى

الناس بعثمان و دسهم اليه حتى قتلوه وهذا أمر لم اطلع عليه ، و ذكرت ان عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان ، فلعمرى ان اولى الناس كان فى أمره عشيرتى ، و اما ماسألتنى عن مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته على فقد فهمته ، و هذا أمر لى نظر فيه و فكر ، و ليس هذا مما يعجل الى مثله و انا كاف عنك وليس يأتيك من قبلى شئ تكرهه حتى ترى ونرى ان شاء الله ، و السلام عليك ورحمة الله و بركاته » ـ

فلما قرأ معاوية الكتاب لم يره الا مقاربا مباعداً فاراد ان يغلظ له فى الجواب و يهدده ليكشف دخيلة سره فكتب اليه ،

أما بعد فقد قرأت كتابك فلم ارك تدنو فأعدك سلماً ، ولم ارك تباعد فأعدك حربا ، اراك كحبل الجزور وليس مثلى يصانع بالخداع ، ولا يخدع بالمكايد ، و معه عدد الرجال و أعنة الخيل ، فان قبلت الذى عرضته عليك فلك ما اعطيتك ، و ان انت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلا و رجلا و السلام » ـ

فلما قرأ اميرنا هذا الكتاب علم ان معاوية لايقبل منه المدافعة فأظهر له مافى نفسه وصارحه وكتب اليه ـ من قيس بن سعد . الى معاوية بن ابى سفيان . أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيى و الطمع فى أن تسومنى ـ لا ابا لغيرك ـ الخروج من طاعة اولى الناس بالامر و اقولهم با لحق واهداهم سبيلا ، و اقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسيلة ، و تأمرنى بالدخول فى طاعتك ، طاعة ابعد الناس من هذا الامر ، و اقولهم بالزور ، و أضلهم سبيلا و ابعدهم من الله ورسوله صلى الله عليه وسيلة ، و لديك قوم ضالون مضلون طواغيت من طواغيت ابليس ، و اما قولك انك تملأ على مصر خيلا و رجلا ، فوالله ان لم اشغلك بنفسك حتى تكون نفسك

اهم اليك ، انك لذوجد و السلام .

فأيس منه معاوية وثقل مكانه عليه وكتب اليه ـ أما بعد. فانك يهودىابن يهودى . إنظفر أحب الفريقين اليك عزلك و استبدل بك غيرك و ان ظفر أبغضهما اليك قتلك و نكل بك ، و قدكان ابوك أوتر قوسه و رمى غرضه ، فاكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه ، و ادركه يومه ثم مات طريدا بحوران » ـ

فكتب اليه قيس ـ أما بعد فانك وثنى ابن وثنى دخلت فى الاسلام كرهاً ، و خرجت منه طوعا ، لم يقدم ايمانك ، ولم يحدث نفاقك ، و قد كان ابى أوتر قوسه، ورمى غرضه ،وشغب عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشق غباره و نحن انصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام » ـ

و انتهت المعركة السياسية باندحار معاوية و فشله من ناحية اميرنا قيس فأخذ يكيده من ناحية الامام عليه السلام و يلقى بحبائله و عصيه .

اسفاف المؤرخين

كثيراً ما نرى المؤرخين يسفون اسفافا احمقاً فى المواضيع التى تتطلب منهم التريث والاناة و تستدعى الروية و التفكير فيرسلون عليها احكاماً مرتجلة هو جاء لا ترتكز على قاعدة علمية ولا مصدرلها سوى العقيدة و العاطفة ..

و من اهم ما يؤخذ اليوم على الباحث أن يقلد فئه خاصة من المؤرخين ذلك التقليد الاعمى الذى لا يقبل المناقشة فى اعتقادة ولا يتطرقه الشك والترديد ، فكأن المؤرخ لغة من يكتب مايرى امامه مسطورالا من يرى ما يكتب بعين البصيرة و التحقيق ، أو انه يكون لزاما على كل مؤرخ أن يتبع اسلافه من المؤرخين ـ و إن خلطوا و غلطوا ـ لان فى مخالفتهم مخالفة لقواعد التاريخ و خروجاً عن سنة الاداب وعقوقا لهم ما بعده عقوق ..

و على هذا الاساس بنى اكثر الباحثين قاعدة حكمهم على الامام على عليه السلام حين خطؤه ـ و هو السياسى المحنك الخبير ـ فى عزله اميرنا قيساً عن مصر و قالوا انه رجل شجاع لاعلم له بالسياسة والحروب

والواقع ان الامام كان مصيبا فى جميع آرائه السياسية وبالاخص فى عزله قيسا عن مصر ، وان من كان له اقل المام بالحوادث التاريخية يعلم جيدا أن المؤرخين كانوا على جانب عظيم من الخطأ فى هذا الحكم ، وان الامام كان مضطرا بطبيعة الظروف الى استدعاء صاحبه قيس من مصر اليه و أن لا مناص له حينذاك سياسيا من عزله ..

ولو أردنا أن نعرف العوامل التي اشتركت في عزله ـ و قد اشتركت في عزله عدة عوامل ـ كان علينا اولا ان نتذكر ظـروف الامام و انه كان في احرج ازمة سياسية شديدة مربكة فكان أحوج مايكون الى آراء اميرنا السياسي ومشورته ..

ثم لا يفوتنا بعد هذا أن نعلم ماكان يحوكه معاوية من المكر و ينسجه من الخداع للامام من ناحية قيس تعزيز المقامه في اهل الشام و توهينا لمقام الامام في اهل العراق ، فمعاوية كان يعلم مالقيس من المنزلة الساميه في نفوس المسلمين ، فهو صحابي جليل حضر المشاهد كلهـا مع النبـي صلى الله عليه وآله وهو بعد هذا و ذاك زعيم الانصار الكبير القبيلة التي عرفت من بين القبائل بالبأس والقوة والتي كان لها في تأسيس الاسلام قدم ثابت و فضل عظيم ، فكان يذيع بين اهل الشام مبايعته له ليثبت لهم صحة مايدعيه و ليسمع بذلك اهل العراق فيرتابوا في خلافة الامام او ليختلفوا على الاقل ، فكان يقول لاهل الشام، لاتسبوا قيساً ولا تدعوا الى غـزوه فانه لنا شيعة ، يأتينا بكيس نصيحته سرا ، ألا ترون مايفعل باخوانكم الذين عنده من اهل ـ خر بتا ـ يجري عليهم اعطياتهم و ارزاقهم ، و يؤمـن سربهم ، و يحسن الى كل راكب قدم عليه منهم ، و هممت أن اكتب بذلك الى شيعتي من اهل العراق فيسمع بذلك جواسيس علي » ـ ثم زور كتابا على لسان قيس له بـالطاعة و جعل يقرأه على اهل الشام هكذا ..

بسم الله الرحمن الرحيم ، للامير معاوية ابن ابي سفيان من قيس بـن سعد ، سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد ، فان قتل عثمان كان حدثا في الاسلام عظيما ، و اني لما نظرت لنفسي و ديني

رأيت انه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا امامهم مسلما محرما تقيا، فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا، و نسأله العصمة لديننا، ألا و انى قد القيت اليكم بالسلام، و اجبتك الى قتال قتلة امام الهدى المظلوم، فاطلب منى ما احببت من الاموال والرجال اعجله اليك ان شاء الله والسلام على الامير و رحمة الله و بركاته ..

و بمثل هذا و نحوه اخذ معاوية يقول لاهل الشام حتى شاع بينهم خروج قيس عن طاعة الامام و دخوله فى طاعة معاوية ثم تعداهم الشياع الى اهل العراق حتى تنافله اصحاب الامام بريبة و شك وحتى ارجف فيه المرجفون ..

و جيش الامام ـ كما يعلم الجميع ـ اشكال مختلفة خليط من كل صنف، فيهم المؤمن التقى و فيهم المنافق الدجال و فيهم مع هذا او ذاك همج رعاع ينعقون مع كل ناعق، تقيمه الدعاية و تقعده، و تؤثر عليه الاشاعات الى حد بعيد، و قد أثرت عليه شائعة معاوية فكان لزاما على الامام سياسيا أن يستدعى قيساً اليه و يعزله عن مصر مع علمه بسلامة نيته ليحتفظ بجيشه مجتمعين اقوياء العزائم خلوا من هذه الشبهات وليؤكد لهم برائة عامله قيس ـ وقد خاف الاغتشاش فيهم ـ من هذه الاشاعة الكاذبة و طهارته.

والعامل المهم ـ كما اعتقد ـ فى عزل قيس عن مصر هو فى الحقيقة عامل مزدوج من الرجاء و الخوف لم يسع الامام معه الا ان يعزل قيسا عن مصر على كل حال. و ذلك ان الامام عليه السلام كان فى عنفوان خلافته و كان توقف معاوية ابن ابى سفيان فى اهل الشام عن بيعته حدثا جليلا جدا يهدد سلطته المطلقة على العالم الاسلامى بالتقييد و يحصر حكمه ضمن نطاق

محدود لا يتعدى العراق والحجاز و مصر و قليلا من هنا و هناك إن تركه له معاوية ولن يتركه له معاوية اذا بقى اهل الشام على رأيهم و امتنعوا عن بيعته ،فكان جل همه أن يبايع اهل الشام ليتسنى له بذلك تبليغ رسالته على الوجه الكامل وحسب ما يريد ، و كان له فى بيعة اهل الشام امل وطيد ، و متى ترك قيسا على مصر وقد اشاع معاوية دخوله فى طاعته أكد لاهل الشام هذه الشائعة وساعد معاوية عليه،واهل الشام قوم بلهاء بسطاء - لا يعرفوا الناقة من البعير - كما شاع ذلك عنهم فيمتنعوا عن البيعة و يتفاقم الخطب و يفوته المطلوب ،فأراد بعزل قيس أن يرفع الستار لاهل الشام و يكشف لهم الحقيقية و يبطل ما اشاعه فيهم معاوية من الزور والاكاذيب، وما ذا عليه اذا أخفقت مساعيه ولم يبايعه اهل الشام بعد ذلك فان اهل الشام قوم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون .

ولعلنا نلمس سداد رأى الامام و حسن تدبيره فى عزل قيس عن مصر و استدعائه اليه اذا عرفنا مقدار تأثر معاوية واستيائه و ندمه الشديد حين لا ينفعه الندم على ما فرط فى عزله ،حين كتب الى مروان غاضبا يقول لو امددته بمأة الف مقاتل لكان اهون على من قيس .

على ان الامام لم يعدم مشيرا من اصحابه بعزل قيس عن مصر فقد اشار عليه جماعة من أخص اصحابه بعزله الى حد الالحاح .

هذا كله مضافا الى ان الشبهات التى حامت حول قيس لو خليناوایاها لم تكن بالقليلة ولا الهينة ، و هى وحدها كافية سياسياً فى اقصاء اميرنا عن منصة الحكم فى تلك الظروف الحرجة .وعزله

و قد حاول الامام جاهدا أن يعرف دخيلة عامله و يكشف سره

لاصحابه من طريق المراسلة و بالحث على حرب اولئك العثمانية المعتزلين فكانت الشبهة تزداد - بامتناع قيس عن حربهم - فى نفسه و نفوس اصحابه تأزما وشدة فلم ير سياسيا الا عزله .



الى الكوفة

و كان محمد ابن ابى بكر و عبدالله بن جعفر رحمهما الله من اشد الناس اصراراعلى الامام فى عزل عامله قيس عن مصرواول من فاوضه بذلك واخبره بمايدور على السنة الناس حول قيس فكان الامام يدافعهما عن عزله وينزه ساحته ما استطاع من قالة السوء ومن تلك الاشاعات ،

ولكن عبدالله أصر على رأيه وأخذ يلح على الامام فى عزله و يقول له ـ وقد اجتمع عند الامام مع جماعة للنظر فى هذه القضية ـ يا اميرالمؤمنين دع مايريبك الى مالا يريبك ، اعزل قيسا عن مصر فقال له الامام . انى والله غير مصدق بهذا على قيس فقال عبدالله . اعزله .اعزله يا امير المؤمنين فان كان ماقد قيل حقاً فلا يعتزل لك إن عزلته .

و بيناهم كذلك يتداولون الرأى إذ هبط عليهم كتاب اميرنا قيس من مصر يقول فيه . بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فانى اخبر اميرالمؤمنين اكرمه الله ، ان قبلى رجالا متعزلين قد سألونى الكف عنهم ، وأن ادعهم على حالهم ، حتى يستقيم امر الناس ، فنرى و يروا رأيهم ، فقد رأيت أن أكف عنهم ، والا أتعجل حربهم ، و أن اتألفهم فيما بين ذلك ، لعل الله عز وجل أن يقبل بقلوبهم ، و يفرقهم عن ضلالهم إن شاء الله .

فلما قرأ الامام الكتاب عليهم التفت عبدالله اليه و قال : يا امير المؤمنين ، ما اخوفنى أن يكون هذا ممالاة لهم ، فمره بقتالهم ، فانك إن اطعته فى تركهم واعتزالهم ، استشرى الامر ، و تفاقمت الفتنة ، و قعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها » و ما زال بالامام حتى كتب الى قيس ، اما بعد فسر الى القوم الذين ذكرت ، فان دخلوا فيما دخل

فيه المسلمون ، و الا فناجز هم والسلام - فكتب اليه قيس . اما بعد يااميرالمؤمنين ، فقد عجبت لامرك ، أتأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك ، و انك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك ، فأ طعني يا امير المؤمنين و اكفف عنهم ، فان الرأى تركهم و السلام - فرد عليه الامام يأمره بقتالهم فأجابه قيس يقول - انهم وجوه اهل مصر و اشرافهم ، و قد علمت ان هواهم مع معاوية ، فلست بكائدهم بأمر أهون على و عليك من الذى أفعل بهم ، وهم اسود العرب ، منهم بسر بن ارطاة ، و مسلمة بن مخلد ، و معاوية بن خديج - فلما ورد هذا الكتاب الى الامام اجتمع اليه اصحابه و معهم رؤساء اهل العراق واهل المدينة فتكلموا .

عبدالله — يا امير المؤمنين ابعث محمد ابن ابى بكر الى مصر يكفك امرها ، واعزل قيساً فوالله ليبلغني ان قيسا يقول ، ان سلطانا لايتم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء ، والله ما احب ان لى سلطان الشام مع سلطان مصر وانني قتلت ابن مخلد

الروساء - الى الامام - نعم ، ان قيسا بدل وتحول

الامـام - انه لم يفعل فدعوني

الروساء - باصرار - لتعزلنه فانه قد بدل

وهكذا اخذوا يلحون على الامام فى عزله حتى كتب اليه - انى قد احتجت الى قربك فاستخلف على عملك واقدم علىّ - فلما قرأ اميرنا الكتاب ادرك السر فى ذلك ، و قال هذا من مكر معاوية ، ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته ثم عزم على الرحيل لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين هجرية كماروى ذلك المقريزى -١- فكانت امارته على مصر خمسة اشهر وخمسة ايام

---

١ - راجع الخطط - ١٥٠ -

واقبل عليه محمد ـ وقد ولاه الامام على مصر ـ فقال له قيس ما بال امير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه، قال لا وهذا السلطان سلطانك فقال قيس ، لا والله لا اقيم معك ساعة واحدة ، وانه لا يمنعنى نصحى لك عزله اياى ، ولقد عزلنى عن غير وهن ولا عجز فاحفظ ما اوصيك به ، يدم صلاح حالك ثم اخذ يوصيه ويقول له ـ دع معاوية بن خديج ، و مسلمة بن مخلد ، و بسر بن ارطاة ومن ضوى اليهم على ماهم عليه ، لا تكفهم عن رأيهم ، فان اتوك ولن يفعلوا فاقبلهم وان تخفوا عنك فلا تطلبهم ، وانظر هذا الحى من مضر فانت اولى بهم منى ، فألن جناحك لهم ، وقرب عليهم مكانك ، وارفع عنهم حجابك ، وانظر هذا الحى من مدلج ، فدعهم و ما غلبوا عليه ، يكفوا عنك شانهم ، وانزل الناس من بعد على قدر منازلهم ، فان استطعت أن تعود المرضى ، وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لا ينقصك ـ ثم القى عليه نظرة فاحصة ليرى موقع كلماته من نفسه وقال له ـ ولن تفعل انك والله ماعلمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة ، وتسارع الى ما هو ساقط عنك والله موفقك ـ ثم ودعه وارتحل من مصر واتجه الى المدينة ، فلما دخلها جاءه حسان بن ثابت شامتا به ومعه مروان بن الحكم فقال له حسان ـ نزعك على ابن ابى طالب وقد قتلت عثمان فبقى عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فزجره قيس وقال له . ياأعمى القلب والبصر ، والله لولا أن القى بين رهطى ورهطك حرباً لضربت عنقك اخرج عنى ـ فطرده وخرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على الامام عليه السلام بالكوفة فرحب به الامام وقص عليه قيس خبر مصر وأخبره بحالة اهلها فصدقه الامام واكبر سياسته وتدبيره وشكره على صنيعه وأمره بملازمته وصحبته

الی صفین

و اقام قيس فى الكوفة بعد رجوعه من مصر ملازما للامام عليه السلام دائبا على صحبته فلما اراد الامام المسير الى قتال اهل الشام - وقد ابوا الاالغى والضلال - احضره فيمن احضر من زعماء المهاجرين والانصار فاستشارهم بذلك وقال لهم فيماقال - وقد اردنا المسير الى عدونا و عدوكم فاشيروا علينا برأيكم .

فقام هاشم المرقال و قام عمار بن ياسر وقام جماعة آخرون فتكلموا وحثوا الامام على المسير ثم قام خطيبنا قيس فحمدالله و اثنى عليه و قال يا امير المؤمنين، انكمش بنا الى عدونا ولا تعرد(١) فوالله لجهاد هم أحب الى من جهاد الترك و الروم ، لا دهانهم فى دين الله و استذلالهم اولياء الله من اصحاب محمد صلى الله عليه و آله وسلم، من المها جرين والانصار والتابعين باحسان ، اذاغضبوا على رجل حبسوه ،أو ضربوه أو حرموه أو سيروه ، و فيئنالهم فى انفسهم حلال و نحن لهم فيما يزعمون قطين (٢)-

تعجبنى والله هذه الغيرة الدينية من قيس، وتهزنى هذه الكلمات الحماسية الجياشة الرائقة التى تفيض روعة وجلالا و تتفجر شعوراو احساسا ، فهى الى جانب سموها المعنوى قد جمعت عدة عناصر نفسية استطاع أن يهيمن بها خطيبنا على نفوس الحاضرين و يقطع لسان كل معارض تحدثه نفسه بالمعارضةو الخلاف،فهو اولا قد حث الامام على قتال اهل الشام واستعجله بالمسير اليهم وهو ثانياقد افهم الحاضرين بان اهل الشام بغاة يجب قتالهم

١ - الانكماش . الاسراع و الجد . والتعريد : الفرار والانهزام ؛
٢ - القطين : الخدم والاتباع ، و الحشم . والمما ليك .

على كل حال و بنفس الوقت قداستدل لهم على بغيهم ووجوب قتالهم ،وهو ثالثاً قد اثار فيهم غريزة الانتقام وذكرهم بما ذاقوا على عهد عثمان من الضرب و الحبس و التبعيد و الحرمـان ، ثم هو بعد ذلك كله قد كشف لهم عن نوايا بني امية و انهم لايريدون الا استعبادهم و استئصال اموالهم و بهذا ايضاً قد هيج في نفوسهم غريزة الخوف و الطـمع معـا ، و بتأثير كل هـذه العوامل هبت في المجلس زوبعة حماسية عالية وأخذ الجمع يستعجلون الامام بالمسير الى قتال اهل الشام وحربهم .

و لكن شيوخ الانصار سائهـم أن يتقدمهـم قيس بالكلام فيحتكر المجلس لنفسه و يحضى بـاستحسـان الجمـع و توجههم فالـتفتوا اليه محتدمين و قـالوا له ـ لم تقدمت اشياخ قومك و بدأتهم يا قيس بالكلام فأجابهم على الفور و بكل اطمأنان قائلا ـ أما انى عارف بفضلكم ، معظم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم ، حين ذكرت الاحزاب ـ وهو جواب فني فيه لفتات نفسية عميقة ارتاح له شيوخ الانصار وأنسوابه ، فقال بعضهم لبعض . ليقم رجـل منكـم فليجب امير المؤمنين عن جماعتكم فقام سهل بن حنيف ـ و قد انتخب للكلام عنهم ـ فحمد الله واثنى عليه وقال يا امير المؤمنين ، نحن سلـم لمن سـالمت وحرب لمن حاربت ، ورأينا رأيك ونحن كف يمينك .

ولما اتفق اكثر اصحابه على المسير لقتال اهل الشام خرج الامام (ع) الى المسجد و استنفر الناس وسار بهم الى صفين حيث قد خرج معاويـة باهل الشام الى حربه . .

ولم يصغ اهل الشام الى نداء الامام بحقن الدماء و الدخـول فى طاعته فاضطر على قتالهم وعقد الالوية والرايات فأخرج لواء رسول الله صلى الله

عليه و آله و سلم و دعى بطلنا قيساً فدفعه اليه وسوده على الانصار فأخذه بطلنا و نشره عاليا فاجتمع اليه الانصار و اهل بدر واخذوا يبكون و قد ذكروا عهد رسول الله فتقدم به قيس نحو الميدان وهو ينشأ ويقول .

هذا اللواء الذى كنا نلوذ بـه — مع النبى و جبريل لنا مدد
ماضر من كانت الانصار عيبته — ان لا يكون له من غيرهم احد
قوم اذا حاربوا طالت اكفهم — بالمشرفية حتى يفتح البلد

ثم دنـا من اهل الشام فزحفوا اليه فقاتلهم قتالا شديداً حتى ضجر معاوية من كثرة من قتل من اهل الشام و تعاظمت الامور عليه فدعى عمرو بن العاص ودعى بسر بن ارطاة ومعه عبيد اللّٰه بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمن ابن خالد بن الوليد فأخذ يوبخهم و يقول لهم ـ انه قد غمّنى رجال من اصحاب على منهم قيس بن سعد فى الانصار . و سعيد بن قيس فى همدان، والاشتر النخعى فى قومه ، و المرقال ، و عدى بن حاتم ، و قد وقت يمانيتكم بأنفسها اياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم و انتم عدتهم من قريش ، و قد اردت أن يعلم الناس انكم اهل غناء ، و قد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك الىّ ، فقالوا له ذلك اليك، قال فانا اكفيكم سعيد بن قيس و قومه غداً ، و انت يا عمرو لاعور بنى زهرة المرقال ، و انت يا بسر لقيس بن سعد ، وانت يا عبيداللّٰه للاشتر النخعى ، و انت يا عبدالرحمن بن خالد لاعور طى ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل فجعلها نوباً فى خمسة ايام لكل رجل منهم يوم .

ولما اقبل اليوم الثالث خرج بسر بن ارطاة فى حماة الخيل فلقى بطلنا قيساً فى كماة الانصـار فالتقى الفريقان و اشتدت الحرب بينهما و برز قيس امام الجيش كأنه فنيق مقرم وهو يقول .

انا ابن سعد زانه عباده   والخزر جيون رجال ساده
ليس فراري في الوغي بعاده   ان الفرار للفتى قلاده
يارب انت لقنى الشهاده   والقتل خير من عناق غاده
حتى متى تثنى لى الوساده

فجعل يضرب بسيفه اهل الشام ضربا منكراً فخرج اليه بسر مكرها و هو يقول .

انا ابن ارطاة عظيم القدر   مردد فى غالب بن فهر
ليس الفرار من طباع بسر   ان يرجع اليوم بغير و تر
و قد قضيت فى عدوى نذرى   ياليت شعرى ما بقى عمرى

فتجاولا مليا و يطعن بسر قيسا فيضربه قيس بالسيف فيرده على عقبيه ناكصا و يرجع بطلنا المغوار فخورا ضافرا وقد روى سيفه من دماء اهل الشام .

فلما رأى ذلك معاوية غضب غضباً شديدا و ساءه ذلك الى ابعد حد وعاتب اصحابه بألم وحزن ووبخهم .

وبلغ ذلك ايمن بن خزيم الاسدى وكان معتزلا فى ناحية من الشام فشمت بمعاوية واخذ يقول .

معاوى ان الامر لله وحده   و انك لا تسطيع ضراً و لا نفعا
عبأت رجالا من قريش لمعشر   يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الامر إذ جد جده   لقد زادك الرأى الذى جئته جدعا
تعبى لقيس او عدى بن حاتم   والاشتر يا للناس اغمارك الجدعا
تعبى لمرقال عمرو وانه   لليث لقى من دون غايته ضبعا
وان سعيدا إذ برزت لرمحه   لفارس همدان الذى يشعب الصدعا

ملى بضرب الدارعين بسيفه اذا الخيل ابدت من سنابكها نقعا

رجعت فلم تظفر بشئ اردته سوى فرس اعيت وابت بها ضلعا

فدعهم فلا والله لاتستطيعهم مجاهرة فاعمل لقهر هم خدعا

فشاع هذا الشعر بين اهل الشام فازداد قلقا معاوية و أخذ يفكر فى الحل ويتأمل الحيلة التى يستطيع أن يقهر بها هـولاء الاشاوس الصناديد و تنجيه من مأزقه الحرج الشديد.



قيس والنعمان

وتعددت الوقائع بعد ذلك وأضر الانصار فى اهل الشام فضاق معاوية ذرعا ودعى النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد الانصارى ـ ولم يكن معه من الانصار غيرهما ـ فقال ياهذان. لقد غمنى مالقيت من الاوس والخزرج، صاروا واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال، حتى والله جبنوا اصحابى الشجاع والجبان، وحتى والله ما اسأل عن فارس من اهل الشام الا قالوا قتله الانصار. ـ ثم تكلف الغضب وصاح ـ أما والله لالقينهم بحدى وحديدى، ولاعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب فى حلقه، ثم لارمينهم باعدادهم من قريش، رجال لم يغذهم التمر والطفيشل (١) يقولون نحن الانصار، قد والله آووا ونصروا، ولكن افسدوا حقهم بباطلهم فغضب النعمان وقال. يا معاوية، لاتلومن الانصار بسرعتهم فى الحرب، فانهم كذلك كانوا فى الجاهلية، فاما دعائهم الله، فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه يفعلون ذلك كثيرا، واما لقائك ايا هم فى اعدادهم من قريش، فقد علمت مالقيت قريش منهم قديما، فان احببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفا فافعل، و اما التمر و الطفيشل، فان التمر كان لنا فلما أن ذقتموه شاركتمونا فيه، و اما الطفيشل فكان لليهود فلما اكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة ـ (٢)ـ ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال يا معاوية. ان الانصار لاتعاب احسابها ولا نجداتها، و اما غمهم اياك فقد والله غمونا، ولو رضينا ما فارقونا وما فارقنا جماعتهم، وان فى ذلك لما فيه

---

١ ـ الطفيشل: كسميدع. نوع من المرق

٢ ـ السخينة: كسفينة. طعام رقيق يتخذ من دقيق كانت تتخذه قريش فعيرت به وصارلها لقباً و فى ذالك يقول الشاعر

زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ليغلبن مغالب الغلاب

من مباينة العشيرة ، ومباعدة الحجاز وحرب العراق ، ولكن حملنا ذلك لك ، ورجونامنك عوضه ، وأماالتمر و الطفيشل فانهما يجران عليك نسب السخينةوالخرنوب -١-

وانتهى كلامهم الى سيدنا قيس فجمع الانصار وقام خطيبا فيهم فقال - ان معاوية قد قال ما بلغكم و اجاب عنكم صاحباكم ، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالامس ، وان وترتموه في الاسلام ، فقد وترتموه في الشرك ، و ما لكم اليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذى انتم عليه ، فجدواليوم جداً تنسونه به ما كان امس ، وجدوا غداً جداتنسونه به ماكان اليوم، و انتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل ، والقوم مع لواء ابى جهل والاحزاب و اما التمر فانالم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه ، واما الطفيشل فلوكان طعامنا لسمينا به اسماً كما سميت قريش السخينة ثم انشأ يقول .

يا بن هنددع التوثب فى الحر ... ب اذا نحن بالجياد سرينا

نحن من قد رأيت فادن اذا ... شئت بمن شئت في العجاج الينا

ان برزنا بالجمع نلقك فى الجمـ ... ـع و إن شئت محضة أسرينا

فالقنا فى اللفيف نلقك فى الخز ... رج ندعوا فى حربنا أبوينا

اى هذين ما اردت فخذه ... ليس منا و ليس منك الهوينا

ثم لاتنزع العجاجة حتى ... تنجلى حربنا لنا او علينا

ليت ما تطلب الغداة اتانا ... انعم الله بالشهادة عينا

اننا اننا الذين اذا الفتـ ... ـح شهدنا و خيبرا و حنينا

١- الخرنوب: ثمر الشوك . وكانت العرب تأكله في المجاعة وخصوصاًقريش

بعد بدر و تلك قاصمة الظهـ ـر و أحـد و بـالـنضير ثنينا
يوم الاحزاب قـد عـلـم النا س شفينا من قبلكم و اشتفينا

فلما بلغ شعره معاوية ارتبك كثيرا و دعى عمرو بن العاص فقال له ماترى فى شتم الانصار قال أرى أن توعد و لاتشتم قال معاوية ، ان خطيب الانصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبا ، وهـو والله يريـد أن يفنينا غدا إن لم يحبسه عنا حابس القيل فما الرأى قال الرأى الصبر و التوكل ، فبعث معاوية الى رجال من الانصار ممن كان فى جيش الامام فاستعطفهم ورجاهم أن يكلموا قيساً ليكف عن شتمه فسار هولاء بأجمعهم الى قيس و قالـوا له بلهجة مزيجة من الرجاء والاستعطاف — ان معاوية لايريد شتمنا فكف عن شتمه فقال . ان مثلى لايشتم ولكن لا اكف عن حربه حتى القى الله..

وفى يوم مبكر من ايام صفين تزاحف الجيشان اهل العراق واهل الشـام بعضهم على بعض فظن بطلنا ان معاوية فى اهل الشام فغاص فـى وسط الجيش و أخذ يجول و يصول فحمل على رجل يشبه معاوية فقتله و اذا هو غير معاوية و حمل على آخر يشبهه ايضا فقنعه بالسيف ثم اخذ يزبد ويرعد فى الميدان وينشأ ويقول .

قولوا لهذا الشاتمى معاويـة ان كل ما او عدت ريح هاويه
خوفتنا أكلب قوم عاويـة الى يا بن الخاطئين المـاضيه
ترقل ارقال العجوز الجارية فى اثر السارى ليال الشاتيهـ (١)

فضاق الخناق بمعاوية فقال لاهل الشام يا اهل الشام اذ القيتم هذا الرجل فأخبروه بمساويه ثم دعى النعمان بـن بشير و مسلمة بن مخلـد وطلب منهما أن يخرجا الى قيس لعتابه و مسـالمته فخرج النعمان حتى وقف

---

١ ـ جاء فى بعض النسخ ـ العجوز الخاوية ـ وما اثبتناه انسبت

بين الصفين ونادى عاليا .

النعمان ـ انا النعمان بن بشير .

قيس ـ مبادرا ـ هيه يابن بشير .

النعمان ـ يا قيس ، انه قد انصفكم من دعاكم الى مارضى لنفسه ألستم معشر الانصار تعلمون انكم أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار ، وقتلتم انصاره يوم الجمل ، واقحمتم خيولكم على اهل الشام بصفين ،فلو كنتم إذخذلتم عثمان خذلتم علياً لكانت واحدة بواحدة ، و لكنكم خذلتم حقا و نصرتم باطلا ، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى اعلمتم فى الحرب ، و دعوتم الى البراز ، ثم لم ينزل بعلى أمر قط الا هونتم عليه المصيبة ، و وعدتموه الظفر ، و قد اخذت الحرب منا و منكم ماقد رأيتم فاتقوا الله فى البقية .

قيس ـ ضاحكا ـ ماكنت اراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة ، انه لاينصح اخاه من غش نفسه ، و انت والله الغاش الضال المضل ، أما ذكرك عثمان ، فان كانت الاخبار تكفيك فخذها منى ، واحدة قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك ، واما اصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، و اما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الانصار ، واما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق و ظهر امر الله وهم كارهون .ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا أواعرابيا او يمانيا مستدرجا بغرور ، انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ، ولستما والله ببدريين ، ولا عقبيين ، ولا احديين ، ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن ، ولعمرى لئن شغبت علينا لقد شغب علينا ابوك ثم

أنشأ يقول .

و الراقصات بكل اشعث اغبر　　خوصِ العيونِ تحثها الركبانِ

ما ابن المخلد ناسيا اسيافنا　　في من نحاربه و لا النعمان

تركا البيان و فى العيان كفاية　　لو كـان ينفع صاحبيه عيان

فقفل النعمان راجعا الي معاوية و كله اخفاق وخيبة ..



في أزمة التحكيم

قاتل الله ابن النابغة -١- عمرواً فانه ما دخل فى امر الا افسده وكأنه انما خلق للفساد وعاش - لاعاش - للعبث و الفتنة ، او كأنما عجنت طينته الخبيثة بالشر فلا يستريح الا اليه .

١ النابغة . بغى من اشهر بغايا مكة و ارخصهن اجرة و هى ام عمرو المنسوب الى العاص يقول الزمخشرى فى ربيع الانوار كانت النابغة ام عمرو أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبدالله بن جدعان التيمى بمكة فكانت بغيا ، ثم اعتقها فوقع عليها ابو لهب بن عبدالمطلب ، و امية بن خلف الجمحى ، و هشام بن المغيرة المخزومى ، و ابو سفيان بن حرب والعاص ابن وائل السهمى ، وقعوا عليها جميعاً فى طهر واحد فولدت عمروا فادعاه كلهم فحكمت امه فيه للعاص بن وائل لانه كان ينفق عليها وكان عمرو أشبه الناس بأبى سفيان وفى ذلك يقول حسان يهجو عمروا

ابوك ابوسفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل .

و عمرو : فاسق منافق كافر لم يؤمن بالله طرفة عين ، و هو واحد المستهزئين برسول الله - ص - والمتجاهرين بعداوته و فيه و فى اصحابه أنزل قوله تعالى - انا كفيناك المستهزئين - وكان كثير الاذى للنبى دائبا على ايذائه وشتمه وطالما كان يضع الحجارة فى طريقه ليعثر بها وكان يهجو النبى بالشعر ويعلم ذلك لصبيان مكة فاذا مر بهم النبى صاحوا فى وجهه وترنموا بشعر عمرو حتى ضجر النبى و رفع يديه الى السماء غاضباً وقال .اللهم ان عمرواهجانى ولست بشاعر فالعنه بعدد ما هجانى . وهو احد الذين خرجوا الى زينب ابنة النبى - لما خرجت مهاجرة الى المدينة- فروعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى اجهضت جنينا ميتا ، فلما سمع رسول الله -ص- شق عليه ذلك كثيرا ولعنهم .

و مواقفه ضد النبى اكثر من أن تحصى أما اسلامه المزيف فهو كما يحدثنا نفسه عنه يقول لما انصرفنا من الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى ، فقلت لهم والله انى لارى أمر محمد يعلو الامور

هنالك فى وادى صفين تنازعت طائفتـان من المسلمين اهل العراق و اهل الشام وقد بغت احداهما على الاخرى و مرقت عن الدين فقاتلتهـا الاولى حتى كادت أن تفيءَ الى امرالله ، ولكن ابن النابغـة يصدها عـن هذا الامر وينزع الى نفسه الخبيثة الشريرة فيأتى الى معاوية - وقداجمع

علوا منكرا ؛ و انى قد رايت را يا فمـا ترون ، قـالوا مارأيت ، فقلت أرى أن نلحق بالنجاشى ملك الحبشة فنكون عنده ، فان ظهر محمد على قومـه اقمنا عنده فان نكون تحت يديه احب الينا من ان نكون تحت يدى محمد وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، قالوا ان هذا هو الرأى ؛ فقـلت فاجمعوا ما نهدى له - وكان احب مـا يأتيه من ارضـنا الادم - فجمعـنا له ادما كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله انا لعنده اذ قدم عمـرو بن امية الضمرى وكان رسول الله قد بعثه اليه فى شأن جعفـرابن ابى طالـب و اصحابه فدخل عليه ثم خرج من عنده ؛ فقلت لاصحـابى هذا عمرو بـن امية لوقد دخلت على النجاشى فسألته ايـاه فأ عطانيه فضربت عنقه ، فـاذا فعلت ذلك رأت قريش انى قد اجزأت عنها حين قتلت رسول محمـد ، فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقى ، أهديت الى من بلادك شيئـاً فقلت نعم ايها الملك ، قد اهديت لك ادماً كثيرا ، ثم قربته اليـه فأعجـبه و اشتهـاه , ثم قلت ايها الملك انى قد رأيت رجـلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فانه قد اصاب من اشرافنا وخـيارنا ، فغضب النجاشى ثم مد يده فضرب بها انفه ضربة ظننت انه قد كسره ، فلوا انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقاً منه ؛ ثم قلت ايها الملك والله لو كـنت ظننت انك تكره هذا ماسألتكه ، فقال أتسألنى أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان عند موسى لتقتـله ، فقـلت ايها الملك ، أكذلك هو ، فقال اى والله ، اطعنى واتبعه فانه والله لعـلى حـق و ليظهرن عـلى من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده فـاتيت الى النبى فأسـلمت» .

أما الروايات الواردة فى حقه من النبى صلى الله و آله و سلم علـى نفاقه و زندقته وكفره فكثيرة جدا لا يسعنا أن نذكرها فى هذه العجالة خوفا من التطويل .

على الفرار - ويقول له .

- هل لك يا امير في أمر اعرضه عليك لايزيدنا الا اجتماعا ، ولايزيدهم الافرقة .

- بيأس و قنوط - نعم .

-الق اليهم امرا إن قبلوه اختلفوا ، و إن ردوه اختلفوا .

- يلمح بارقةالامل - ماهو . وماهو .

- ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك و بينهم فانك بالغ به حاجتك في القوم ، فانه ان أبى بعضهم أن يقبله وجدت فيهم من يقول . بلى ينبغى لنا أن نقبل فتكون بينهم فرقة . وان قبلوه جميعاً رفعنا هذا القتال عنا الى حين . وانى لم ازل أؤخر هذا الامر لوقت حاجتك .

- يتأمل قليلا فيدرك ما في هذه الحيلة من معنى فيهش لها و يبش و يقول معجباً بها - صدقت .

فلما اصبح الصباح واذا باهل الشام قد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح ، و قلدوها الخيل وهم ينادون ، يا اهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور اهل الشام بعد اهل الشام و من لثغور اهل العراق بعد اهل العراق الله الله في النساء والاطفال ، من لها غدا اذا قتلتم و قتلنا .

ولقد صدق ظن ابن النابغة ، ونجحت حيلته في اهل العراق فانهم ما إن رأوا ذلك حتى اختلفوا فيما بينهم بين راض وممتنع حتى وقعت الفرقة في صفوفهم .

ولك ايها القارى الكريم أن تتصور حال بطلنا قيس حينذاك وقد لمح بارقة النصر في سيفه وسيوف الانصار المغاوير كما لك أن تتصور حال بقية اخوانه الا بطال خصوصا مالك الاشتر و قد اشرف على الفتح بنفسه

وبانت دلائل الادبار و الخذلان على اهل الشام . لك أن تتصور ذلك كله وتتصور معه حال الامام عليه السلام وقدوقف على رأسه الاشعث بن قيس -١- شاهراسيفه في عشرين الف فارس من الخوارج الاغبياء مدججين بالحديد قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم رافعين اصواتهم يقولون للامام بلهجة جريئة قاسية — يا على اجب القوم الى ما دعوك اليه و الا قلناك كما قتلنا عثمان .

لاخفى عليك ياسيدى القارئ اني كلماقرأت قضية التحكيم غشيتني سحابة حالكة من الحزن ، وماتصورتها الا وعلاني الوجوم ، وربماطفرت من عيني دمعة لااعرف دافعها على التحقيق ولكنها دمعة حارة على كل حال فيها كل معاني الالم والحزن ، ولعلها آية تأثري العميق على ما اصاب الاسلام من الانحلال و الفرقة يومئذ من جراء قضيه التحكيم في حين كان اقرب ما يكون الى القوة و المنعة لوتم النصر لا مير المؤمنين على عليه السلام .

واخيرا و بعد كلام طويل لايهمنا ذكره يوافق الامام مرغماً على

---

١ - الاشعث - هو معدى كرب بن قيس الاشج بن معدى كرب بن معاوية بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة بن عبدالعزى بن ربيعة بن معاوية الاكرمين بن الحرث بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد : و انما سمى بالاشعث لانه كان دائما اشعث الرأس وهو من المنافقين الذين اشتهر نفاقهم و خبثهم وضررهم على الاسلام واهله يقول ابن ابى الحديد وكان الاشعث مصدر كل شر وقع في خلافة الامام على عليه السلام وقال ابو جعفر محمد بن جرير وكان المسلمون والكافرون يلعنون الاشعث معاً وكان معروفا عند نساء قومه بعرف النار وهو اسم للغادر عندهم .

التحكيم ولم تنفع الخوارج نصائحه ولا نصائح اصحابه الانقياء البررة فيختار اهل الشام عمرو بن العاص ويختار الخوارج اباموسى الاشعرى و تكتب وثيقة التحكيم على أن يجتمع الحكمان فى شهر رمضان - بأذرح -١- ليتدارسا القرآن فيحييا ما احياه و يميتا ما اماتاه وتدور صحيفة التحكيم على اهل الشام واهل العراق فيشهد بها جماعة من هنا وهناك ثم ينتهى الأمر ويرجع اميرالمؤمنين باصحابه الى الكوفة .

ولست ادرى كيف رجع بطلنا المغوار قيس الى الكوفة وكل ما ادرى انه رجع ولم يوقع بصحيفة التحكيم فانى على كثرة ما بحثت فى اسماء الموقعين لم أجدله اسما بين تلك الاسماء مع انه قيس بن سعد سيد الانصار و حامل راية النبى فى صفين و السهم المحدد فى عين معاوية مما يدل على تأثره العميق وثورته الشديدة على قضية التحكيم و امتناعه من قبولها والتوقيع فيها .

ومهما يكن من شئ فقد سار مع الامام حتى دخل الكوفة فقال له الامـام - اقم انت معى على شرطتى - وكانوا اربعين الفا بايعوا الامام على الموت - حتى تنقضى قضية التحكيم ثم اخرج بعد ذلك الى أذربيجان فأقام قيس فى الكوفة اميراً على شرطة الخميس .

---

١ - اذرح - بضم الراء بلاد بالشام بجنب جرباء

الى النهروان

وآن أوان اجتماع الحكمين و سيدنا قيس على شرطة الخميس في الكوفة فبعث الامام عليه السلام ابا موسى الاشعرى و بعث معه شريح ابن هانى فى اربعمائة رجل ، وبعث معاوية عمرو بن العاص فى اربعمائة رجل ايضاً فساراجميعا حتى اجتمعوا بدومة الجندل .

و دقت ساعة التحكيم فاعتزل عمرو بن العاص و ابو موسى الاشعرى و ذهبا بعيدا عن الجيش فجعل عمرو يستدرج ابا موسى بالمكر و الخداع و يقدمه فى كل شئ ويقول له تكلم بأبى انت و امى فانخدع ابو موسى والتفت الى عمرو واخذ يقول له .

ـ هل لك فى أمر هو للامة صلاح و لصلحاء الناس رضا ، نولى هذا الامر عبدالله بن عمر بن الخطاب الذى لم يدخل فى شئ من هذه الفتنة .

ـ بلطف ولين ـ فاين انت عن معاوية

ـ بامتناع ـ دعنا من معاوية

ـ بمكر ـ ألست تعلم ان عثمان قتل مظلوما

ـ متأكدا ـ بلى

ـ فان الله عز وجل قال . و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا . فما يمنعك من معاوية ولى عثمان ، و بيته فى قريش ما قد علمت ، فان تخوفت أن يقول الناس ولى معاوية و ليست له سابقة ، فان لك بذلك حجة ، تقول انى وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم و الطالب بدمه . الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو اخو أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه و سلم ، وقد صحبه فهو أحد الصحابة ثم جعل يغريه بالاموال و يمنيه بالامارة و السلطان ويقول له ـ وان ولى

اكرمك كرامة لم يكرمك احدقط مثلها .

- بتزهد - اتق الله يا عمرو ، اما ماذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف ، يولاه اهله ، و لو كان على الشرف لكان هذا الامر لآل ابرهة ابن الصباح ، انما هو لاهل الدين و الفضل ، مع انى لو كنت معطيه افضل قريش شرفا اعطيته على ابن ابى طالب . و اما قولك ان معاوية ولى دم عثمان فوله هذا الامر ، فانى لم اكن لاولى معاوية و ادع المهاجرين الاولين ، و اما تعريضك لى بالسلطان فو الله لو خرج لى من سلطانه كله ما وليته وماكنت لارتشى فى حكم الله عزوجل ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب .

- إن كنت تحب بيعة ابن عمر فمايمنعك من ابنى ، و انت تعرف فضله وصلاحه .

- ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته فى هذه الفتنة

- ان هذا الامر لايصلحه الارجل له ضرس يأكل و يطعم ، وكانت فى ابن عمر غفلة .

- ممتنعاً - كلا .

- خبرنى ما رأيك .

- أرى أن نخلع هذين و نجعل الامر شورى فيختار المسلمون لانفسهم من أحبوا .

- بخبث وغرور - الرأى ما رأيت فتقدم الى الناس فاعلمهم بذلك .

- بل تقدم انت .

- انك اكبر منى سنا وانت قد صحبت رسول الله قبلى فتكلم ثم اتكلم .

- مخدوعا - يقبل على الناس ومعه عمرو بن العاص و ينادى - ايها الناس ان رأينا قد اتفق على امر نرجوا أن يصلح الله به أمر هذه الامة .

- مبادرا - صدق و بر

- ايها الناس ، انا قد نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم

لشعثها من أمر قد اجمع رأيي و رأى عمرو عليه ، و هو أن نخلع عليـا و معاوية و يولى الناس امورهم من أحبوا ، و اني قد خلعت عليا و معاوية فاستقبلوا امركم ، و ولوا عليكم من رأيتموه اهلا .

- يتقدم الى الناس ويتكلم - ان هذا قد قال مـا سمعتموه و خلع صاحبه و انا اخلع صاحبه كما خلعه و اثبت صاحبي معاوية فانه ولي ابن عفان و الطالب بدمه وأحق الناس بمقامه .

- يقبل عليه غاضبا صائحا - لا وفقك الله ، غدرت و فجـرت ، انما مثلـك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث .

- بكل برودة - انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا .

شريح بن هاني - يحمل محتدما على عمرو بن العاص و يقنعه بالسوط

ابن لعمرو - يحمل على شريح و يرد عليه ضربته .

الجيش - يضطرب و يهيج .

ابو موسى - يركب راحلته و يفر الى مكة .

عمرو بن العـاص - ينادي اصحابه ويرجع بهم الى الشام .

شريح بن هاني - يرجع بأهل العراق الى الكوفة

وتنتهي قضية الحكومة بأسوء مايتصور أن تنتهي اليه وتتم معها مهمة قيس في الكوفة فيبعثه الامام اميراً على أذربيجان ويضمها الى وضيفته السابقة و يكتب اليه بعد ذلك أما بعد فأقبل على خراجك بالحق، و احسن الى جندك بالانصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله ، ثم ان عبدالله بن شبيل الاحمسي سألني الكتاب اليك فيه بوصايتك به خيرا، فقد رأيته و ادعا متواضعا ، فألن حجابك وافتح بابك، واعمد الى الحق، فان من وافق الحق ما يحبو أسره، ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيـل الله لهـم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . .

ای آذربیجان

وتتابعت الايام يتلو بعضها بعضاً و امير ناقيس مقيم فى أذربيجان باسطا جناحه على رعيته بالرحمة يداريهم احسن مداراة ويعاملهم كما اوصاه الامام بالرفق و الاحسان حتى اذاعزم امير المؤمين عليه السلام على الرحوع الى صفين لقتال اهل الشام كتب اليه أما بعد فاستعمل عبدالله بن شبيل الاحمسى خليفة لك ، وأقبل الى ، فان المسلمين قد اجمع ملأهم وانقادت جماعتهم ، فعجل الاقبال ، فانا ساحضرن الى المحلين عندغرةالهلال ، إن شاءالله ، وما تأخرى الالك ، قضى اللهلنا ولك بالاحسان فى امرناكله .

فعجل قيس بالمسير الى الكوفة واقبل على الامام بجدالسير حتى قدم عليه بالنخيلة معسكرا بالجيش فأخبره الامام بماعزم عليه فرحب قيس بذلك وارتاح الى ماعزم عليه الامام وصمم على الخروج معه لقتال اهل الشام .

و بلغ الامام ان بعض الجيش يقول .لوسار بناامير المؤمنين الى الخوارج فبدأنا بهم ، فاذا فرغنا منهم و جهنا الى المحلين . فقام الامام خطيبا فى الجيش وقال. أما بعدفانه قدبلغنى قولكم لوان امير المؤمنين سار بنا الى هذه الخارجة التى خرجت عليه ، فبدأناهم فاذا فرغنامنهم و جهنا الى المحلين ، وان غير هذه الخارجة اهم الينا منهم فدعوا ذكرهم ، وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباداللّه خولا . فتنادى الجيش من جميع جهاته ومن كل جانب. سر بنا يا امير المومنين حيث أحببت

ولما همّ الامام بالمسير الى صفين بلغه ان الخوارج (١) قتلوا

---

(١) الخوارج . قوم بلهاء بسطاء سخفاء مغفلون . و هم طائفة من اصحاب الامام عليه السلام كانوا معه فى صفين فلمارفع اهل الشام المصاحف

عبدالله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذوا يعبثون بالأمن العام و يعترضون كل من مر عليهم فسائه ذلك كثيرا ، و بعث اليهم الحارث بن مرة العبدى ليواجههم ويكتب اليه بأخبارهم فأخذوه ايضا وقتلوه

كانوا اول من انخدع بها و دعى اليها حتى اضطر الامام بتأثير اصرارهم الشديد على قبول التحكيم ، ثم ندموا بعد ذلك و إنكشف لهم خطأهم و طلبوا من الامام - بعد أن كتب بينه و بين اهل الشام كتابا بالتحكيم اكده بالعهود و المواثيق - الرجوع عن قضية التحكيم فأبى عليهم الامام وقال لهم لا يجوز لنا الرجوع عن ذلك، لانا كتبنا بيننا و بين اهل الشام كتابا و شرطنا شروطا ، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا ، وقد قال الله عزوجل ، وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . ان الله يعلم ما تفعلون ، فغضبوا عليه و اعتزلوه و تجمهروا فيما بينهم فأمروا عليهم عبدالله بن وهب وخرجوا من الكوفة سراً حتى نزلوا جسر النهروان ، و التحق بهم من كان على رأيهم من أهل البصرة فقويت شوكتهم و اخذوا يعترضون المارة و يوسعونهم ضربا وقتلا و تمثيلا . فاتفق أن خرجت منهم عصابة فصادفت الصحابى عبدالله بن خباب ومعه امرأته فعبروا اليه ونادوه و تهددوه و افزعوه حتى وقف لهم وقبضوا عليه وقالوا له من انت قال انا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله -ص- ثم اهوى على ثوبه يتناوله وقد سقط من يده فزعا منهم فقالوا افزعناك قال نعم فقالوا لا روع عليك فحدثنا عن ابيك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه لعل الله ينفعنا به قال حدثنى ابى عن رسول الله -ص- ان فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه ، يمسى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح فيها كافرا ويمسى مومناً ، فقالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول فى ابى بكر وعمر فاثنى عليهما خيرا ، قالوا فما تقول فى عثمان فى اول خلافته وفى آخرها ، قال انه كان محقا فى اولها وفى آخرها ، قالوا فما تقول فى على قبل التحكيم و بعده ، قال انه اعلم بالله منكم و أشد توقيا على

واتى خبره الى الامام فغضب غضبا شديداً حتى بان ذلك فى وجهه فقام اليه جماعة من روساء الجيش وقالواله — يا امير المؤمنين ، علام تدع هولاء ورائنا يخلفوننافى اموالنا ، وعيالنا ، سربنا الى القوم، فاذا فرغنا ممابيننا وبينهم ، سرنا الى عدونا من اهل الشام ، فقبل الامام قولهم ودعى صاحبه قيساً وأمّرة على مقدمته وأمره أن يسير حتى يدخل المدائن -١- فيعسكر هناك ريثما يأتيه أمره فسار قيس فى المقدمة حتى نزل المدائن ثم التحق بالامام ونزل معه النهروان ثم نادى منادى الامام بالرحيل فسار بالجيش فعبر الجسر ثم نزل - دير عبد الرحمن ثم سار منة الى - دير ابى موسى

دينه ، و أنفذ بصيرة ، فقالوا انت تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على اسمائها لاعلى افعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها احدا ، فأخذوه فكتفوه ثم اقبلوا به وبأمرأته وهى حبلى حتى نزلوا تحت نخل ، فسقطت منه رطبة فأخذها احد هم وقذف بها فى فمه فاعترضه آخر محتدما يقول له - أخذتها بغير ثمن فلفظها من فمه وجرد سيفه فقطع به يمينه . و مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه احد هم بسيفه ، فقالواله جميعاً بلهجة واحدة هذا فساد فى الارض فأتى صاحب الخنزير فأرضاه . فلما راى ذلك منهم عبدالله بن خباب اطمأن قليلا وقال لهم . لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم باس ، انى لمسلم وما احدثت فى الاسلام حدثا ، و لقد آمنتموتى قلتم لاروع عليك فجاؤا به فاضجعوه فذبحوه وسال دمه فى الماء واقبلوا الى امرأته فصاحت ، انما انا امرأة ، الا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طى وقتلوا ام سنان الصيداوية وهكذا اخذوا يعترضون كل من مر عليهم رجلا كان او امرأة أوطفلا حتى اصبح الناس فى قلق دائم منهم ووجل شديد .

١ — المدائن بالفارسية - توسفون - و عربوه على الطيسفون . و انما سمتها العرب المدائن لانها سبع مدائن متقاربة . والمسمى بها فعلا بليدة شبيهة بالقرية بينها و بين بغداد ستة فراسخ

ثم اخذ على ـ قرية شاهى ـ (١) ـ ثم على — دباها ـ (٢) ـ ثم على شاطئى الفرات حتى نزل النهروان ، فأرسل الى الخوارج يقول لهم . ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم . ثم انا تارككم و كاف عنكم حتى الفى اهل الشام ، فلعل الله يقبل بقلوبكم و يردكم الى خير مما انتم عليه من أمركم ، فقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا مستحل لدمائكم و دمائهم . فتقدم اليهم قيس واخذ يكلمهم بلين ويقول لهم ـ عبادالله ، أخرجوا الينا طلبتنا منكم ، و ادخلوا فى هذا الأمر الذى منه خرجتم ، و عودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم ، فانكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك و الشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين و تعدونهم مشركين ، فقال له عبدالله بن شجرة السلمى . ان الحق قد أضاء لنا ، فلسنا نتا بعكم أو تأتونا بمثل عمر فقال له قيس ، ما نعامه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ـ فسكتوا جميعا محجوجين فأخذ قيس يوبخهم و يقول لهم . نشدتكم بالله فى انفسكم أن تهلكوها فانى لأرى الفتنة قد غلبت عليكم ـ فبقوا على سكوتهم لا يحيرون جوابا فرجع قيس وتقدم لهم ابو أيوب الانصارى وجعل يخطبهم و يوبخهم مما فعلوا فتنادوا من كل جانب يقول بعضهم لبعض ـ لاتخاطبوهم ولا تكلموهم و تهيئوا للقاء الرب . الرواح . الرواح الى الجنة وتحفزوا للهجوم على جيش الامام فتقدم الامام حينئذ وقد يئس من هدايتهم وصف عسكره للقتال فجعل على ميمنته حجر بن عدى ، وعلى الميسرة شبث بن ربعى ، وعلى الخيل ابو ايوب الانصارى وعلى الرجالة ابو قتادة الانصارى وعلى اهل المدينة بطلنا قيس ثم تقدم للخوارج فرفع ابو ايوب

---

١ ـ قرية شاهى : موضع قرب القادسية

٢ ـ دباها : قرية من نواحى بغداد من طسوج نهر الملك : قال الشاعر

ان القباع سار سيرا ملسا　　　بين دبيرا و دباها خمسا

راية الامان لهم و نادى عاليا من جاء هذه الراية منكم ممن لـم يقتل ولـم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف منكم الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، انه لاحاجة لنا بعدأن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم - فتفرق الخوارج بين من انظم الى الراية و بين من انصرف الى الكوفة ولم يبق منهم الا نحو من الفين مصرين على الظلال فتقدمـوا الى الامـام وهجموا عليه وماهى الا أن انعطف عليهم جيش الامام من كل جانب فأبادهم بسيفه ولم ينج منهم الا اقل من عشرة كما انه لم يقتل من اصحاب الامام الا اقل من عشرة .



مع الحسن الزكي

ولما انتهى قيس من قتال الخوارج رجع الى معسكر امير المؤمنين عليه السلام بالنخيلة و اقام فيه حتى يستريح اهل الكوفة قليلا ثم يسيروا الى صفين لقتال اهل الشام .

ولكن اهل الكوفة كرهوا العودة الى قتال اهل الشام ، و استمر الكسل والخمول فيهم الى حد الجبن ، وكان الامام عليه السلام نهاهم من الرجوع الى الكوفة بعد حرب النهروان خشية التفرق وحثهم بالمسير الى صفين فاستمهله اهل الكوفة وقالوا له – يا امير المؤمنين ، نفدت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت اسنة رماحنا ، وعاد اكثرها قصدا ، فارجع الى مصرنا ، فلنستعد ، ولعل امير المؤمنين يزيد فى عدتنا ، فانه اقوى لنا على عدونا – فرجع بهم الامام عند ذلك الى النخيلة و أمرهم بلزوم معسكرهم وأن يقللوا من زيارة نسائهم و ابنائهم ، فأقام اهل الكوفة فى المعسكر اياما ثم تسللوا منه قليلا قليلا حتى لم يبق فى المعسكر الا قليل من الرؤساء والاشراف ، فلما راى ذلك الامام فت فى عضده وفتر عزمه على المسير الى صفين ورجع الى الكوفة فجعل يحرض الناس مرة بعد مرة و يستحثهم على الخروج الى صفين فلم يات منهم الا الخمول والكسل و ماكان جواب قومه سوى الاعتذار والتسويف .

و مرت الايام متتابعة هكذا و اهل الكوفة متفيؤن ضلال كسلهم يتمرغون على فراش الخمول متقاعسون عن نصرة امير المؤمنين يتثاقلون عن الخروج الى صفين كلما يحثهم على المسير تثبطوا وكلما دعاهم الى الجهاد تقاعدوا ، و ماسئلهم نصره الا اعتذروا ، وماكلمهم فى قتال اهل

الشام الا اعتلوا ، وما ذكرهم بالله الا نسوا و هكذا اصبحوا متخاذلين لاتؤثر فيهم صرخات الامام الا تأثيرا معكوسا حتى ملهم وضجر منهم وحتى ملؤا قلبه على حد تعبيره قيحا .

وفي هذه الفترة الخاملة وعند تفرق اصحاب الامام و تخاذلهم عنه يلوح لمعاوية بصيص من الرجاء في قيس فيكتب اليه يدعوه اليه و يخوفه عاقبة ملازمته للامام و يخبره بانثيال الناس عليه و يمنيه ويرغبه في بيعته ولكنه لم يجد من قيس الا اذنا صماء والا كتابا يقول له فيه .

ياوثني ابن وثني ، تدعوني الى مفارقة علي بن ابي طالب والدخول في طاعتك و تخوفني بتفرق اصحابه عنه و انثيال الناس عليك و اجفالهم اليك ، فوالذي لا اله غيره لاسالمتك ابدا وانت حربه ولا دخلت في طاعتك و انت عدوه ولا اخترت عدو الله على وليه ولا حزب الشيطان على حزبه فيخيب منه معاوية و يتلاشى فيه رجائه .

وهكذا كان الامام عليه السلام يخطبهم و يحرضهم على الخروج الى اهل الشام في الاونة بعد الاونة

و اخيرا و بعد أن بح صوته من الحث و التحريض خرج جمع من الناس الى النخيلة مستعدين للسفر الى صفين و لكن القدر يحول بينهم و بين المسير فيعاجل الامام بضربة سيف قاضية من كف ابن ملجم الخارجي -١- فتكون العقبة الكئداء في طريقهم . .

١ـ ابن ملجم ـ هو عبد الرحمن ابن ملجم المرادي . خارجي خبيث لعين من اشقى هذه الامة باتفاق الروايات و كان سبب اقدامه على قتل اميرالمؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام انه اجتمع والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي ، وعمرو ابن ابي بكر التميمي السعدي فتذاكروا امر الناس وعابوا الولاة ثم ذكروا اهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا مانصنع بالبقاء بعدهم

و هنا تسكب العبرات . فبينما كان قيس فى هذه المدة كلها يتقلب على فراش من الجمر يتنظر بفارغ الصبر ساعة المسير الى صفين و يفرغ من روحه فى شرطة الخميس الوانا من الحماس و الفتوة حتى اذا تحفزوا للوثوب و دنت ساعة المسير إذ يرزء بأميره و امير المؤمنين عامة فيسودّ الفضاء فى عينيه و تضيق الدنيا بأمانيه وتتبخر احلامه على نار الفاجعة و تتلاشى فى اثير الحزن وتكون المصيبة عليه مصيبتين فقد الامام

فلو شرينا انفسنا لله وقتلنا ائمة الضلال وأرحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم انا اكفيكم عليا وقال البرك بن عبدالله انا اكفيكم معاوية وقال عمرو بن ابى بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص،فتعاهدوا على أن لا ينكص منهم احد عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه ثم أخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لتسع عشرة من رمضان فأتى ابن ملجم الكوفة فلقى اصحابه الخوارج فيها من تيم الرباب و معهم امرأة منهم اسمها قطام بنت الاخضر التيمية ، قتل ابوها واخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فخطبها فقالت لا اتزوجك الا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل على فقال اما قتل على فما اراك ذكرته و انت تريديننى قالت بلا ، التمس غرته فان اصبته شفيت نفسك و نفسى ونفعك العيش معى وان قتلت فما عندالله خير من الدنيا وما فيها قال و الله ماجاء بى الا قتل على فلك ماسألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها اسمه و ردان فأجابها على ذلك واتى ابن ملجم رجلا من اشجع فوافقه اخيرا ايضا وأتو جميعاً الى قطام وهى معتكفه فى المسجد فشجعتهم و حرضتهم و شدت صدورهم بالحرير فتقلدوا سيوفهم وجلسوا امام لى السدة التى كان يخرج منها اميرالمؤمنين عليه السلام فلما خرج اميرالمؤمنين الى المسجد ضربه الاشجعى بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب فضربه ابن ملجم على قرن رأسه بالسيف وهو يقول الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك فوقع اميرالمؤمنين الى الارض وهو يقول ، فزت ورب الكعبة لايفوتنكم الكلب فاخذ وقتل

و عدم الخروج الى صفين

ولكن صاحبنا لم يكن من ضعف النفس وتدهور العقيدة بحيث تأثر عليه المفاجآت الطارئة الى حد القعود عن الجهاد، وتحول الخطوب مهما جلت بينه و بين قتال اهل الشام و الضرب على يد كل من اراد بالاسلام سوء وبغى عليه ، فرأى ان اول ما يجب عليه أن يختار للناس اماما يلم شعثهم و يجمع كلمتهم فيقوم مبادرا ـ قبل ان ينحل الجيش و يتفرق الناس ـ و يقوم الناس خلفه ، ولكن الى اين، الى الامام المنشود، الى اعلم الامة كلها ، و اجمعها لصفات الحمد ، ثم يدخل على الحسن الزكى و يقول له ابسط يدك ابا يعك على كتاب الله و سنة نبيه و قتال المحلين ، فيتأمل الحسن عليه السلام الفقرة الثالثة من كلام قيس ـ قتال المحلين ـ ويلقى نظرة خاطفة على الناس حوله يصل بها الى اعماق نفوسهم و يقرأ ما سطر فيها من الاختلاف فى هذا الامر فيلتفت الى قيس و يجيبه بجواب سياسى فيه شيء من الغموض يمتزج بنفوس الحاضرين و يتفق مع تأويل كل واحد حسبما يشتهى و يريد و يقول له ـ بما يعنى على كتاب الله و سنة نبيه فان ذلك يأتى من وراء كل شرط ـ و يدرك قيس ما فى هذا الجواب من معنى فيتقدم اليه و يبايعه اول الناس باجماع المؤرخين ثم يتقدم الناس بعده ويبايعونه واحدا بعد واحد و طائفة بعد اخرى و بهذا قد استطاع أن ينهى قيس مهمته الاولى و يحتفظ بالجيش مجتمعين ولم يبق عليه الا ان يخرج به الى صفين لقتال اهل الشام

و تشاء الصدف أن تعطى قيسا ما اراد و تنيله امانيه فى الخروج الى صفين من دون أن تذيقه مرارة الانتظار ، فيسمع معاوية باجتماع اهل العراق على بيعة الحسن فيغيظه ذلك و يسير بأهل الشام الى حربهم حتى

يقف على جسر منبج ليستأنف المسير الى الكوفة

ويسمع بذلك الحسن عليه السلام فيبعث حجر بن عدى الى العمال والامراء يستنفرهم ، وينادى مناديه بالصلاة جامعة فيجتمع الناس و يقوم فيهم خطيباً فيحمدالله ويثنى عليه و يقول . أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه و سماه كرها ، ثم قال لاهل الجهاد من المؤمنين ، اصبروا إن الله مع الصابرين ، فلستم ايها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون و قد بلغني ان معاوية بلغه انا كنا از معنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك اخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة حتى ننظرو تنظرون و نرى وترون» ـ ويسكت الناس ولم يجيبوه بشئ فيثور عدى بن حاتم محتدما وينادى ـ انا ابن حاتم . سبحان الله ، ما أقبح هذا المقام .ألا تجيبون امامكم و ابن بنت نبيكم ، اين خطباء مضر ، الذين السنتهم كالمخاريق فى الدعة فاذا جد الجد ، فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ، ولا عيبها ولا عارها ـ ثم استقبل الحسن عليه السلام بوجهه و قال له ـ اصاب الله بك المراشد ، و جنبك المكاره ووفقك لما تحمد ورده و صدره ، قد سمعنا مقالتك ، و انتهينا الى امرك ، و سمعنا لك واطعناك فيما قلت و رأيت ، و هذا وجهى الى معسكرى فمن أحب أن يوافينى فليواف» ـ ثم ركب راحلته و توجه الى النخيلة ، وقام صاحبنا قيس فأنب الناس وحرضهم على الخروج وتكلم بمثل ماتكلم به عدى بن حاتم وقام بعده معقل بن قيس الرياحى وزياد بن صعصعة التيمى ففعلا كما فعل قيس فالتفت اليهم الحسن عليه السلام وقال لهم ـ صدقتم رحمكم الله ما زلت اعرفكم بصدق النية والوفاء ! و القبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل عن المنبر ، فهاج الناس وخرجوا الى النخيلة حتى اكتملوا فى العدة والعدد فلما رأى ذلك الحسن

عليه السلام استخلف على الكوفة المغيرة ابن نوفل بن الحرث و خرج الى النخيلة فدعى قيسا ودعى سعيدبن قيس وأمرهما ان يسيرا الى معاوية مع عبيدالله بن عباس فى المقدمة ثم التفت الى عبيدالله و قال له « يابن عم انى باعث اليك اثنى عشر الفامن فرسان العرب و قراء مضر ، الرجل منهم يريد الكتيبة فسر بهم ، و ادنهم من مجلسك . فانهم بقية ثقات اميرالمؤمنين و سربهم على شط الفرات ، حتى تقطع بهم الفرات حتى تصير بمسكن (١) ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان انت لقيته فأحبسه حتى آتيك ، فانى على اثرك و شيكا ، وليكن خبرك عندى كل يوم ، و شاور هذين - يعنى قيسا و سعيدا - و اذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل فقاتله و ان اصبت فقيس بن سعد على الناس ، و ان اصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس» فسار عبيد الله حتى انتهى الى - سيفور - ثم خرج الى شاهى فلزم الفرات و أخذ على الفلوجة حتى اتى - مسكن - و سار الحسن عليه السلام من النخيلة على حمام عمر - حتى اتى دير كعب - ثم بكر فى المسير فنزل - ساباط - (٢) دون القنطرة و عسكر هناك

و أخبر معاوية بكثرة من خرج من اهل العراق لحربه فخاف خوفاً

---

١ - مسكن : بفتح الميم وسكون السين و كسر الكاف موضع قريب من أو انا ، على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

٢ - ساباط : عين ماء بالمدائن لكسرى معرب بلاس آباد - ومنه المثل المشهور - افرغ من حجام ساباط - و قد اختلف فى اصل هذا المثل فقيل ان حجاما كان فى ساباط حجم كسرى مرة فى سفره فأغناه فلم يعد للحجامة و تفرغ للذته : و قيل ان رجلا سخيفا كان فى ساباط حجاما يحجم من مرعليه من الجيش بدانق نسية الى وقت قفولهم و مع ذلك كان يمر عليه الاسبوع والاسبوعان ولا يقربه احد فكان يخرج امه بالجبر و يحجمها ، ومازل هذا دأبه حتى ماتت فصار مثلا لكل سخيف فارغ .

شديدا و رأى أن لاطاقة له بحربهم فعمد الى شياطينه و أخذ يستوحيهم المكر والحيلة فدس فى عسكر الحسن من يتحدث بصلح قيس بن سعد و يشيع ذلك فيهم ثم ارسل هوالمغيرة بن شعبة و عبدالله بن عامر بن كريز و عبدالرحمن بن ام الحكم فدخلوا على الحسن عليه السلام كزائرين ثم مالبثوا أن خرجوا وهم يتكلمون و يسمعون اهل العراق و يقولون ـان الله قدحقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة ، واجاب الى الصلح ـ فلما سمع ذلك جيش الحسن عليه السلام ـ و قد اشاع معاوية فيهم على لسان جواسيسه صلح قيس ـ لم يشكوا فى صدقهم فقامت قيامتهم وثاروا على الحسن و انتهبوا مضاربه حتى اخذ وامصلاه من تحته و انتزعوا مطرفه عن عاتقه و هم يقولون ـ كفروالله الرجل ، فركب الحسن فرسه و دعى ربيعة وهمدان فأحدقوا به و منعوا من اراده بسوء فلما مرفى مظلم ساباط (١) قام اليه الجراح بن سنان الاسدى فأخذ بلجام الفرس و قال له الله اكبر يا حسن ، اشرك ابوك ثم اشركت انت و طعنه بالمعول فوقعت فى فخذه فشقه حتى بلغت اربيته ـ(٢) فسقط عليه السلام الى الارض بعدأن قتله فحمله اصحابه الى المدائن و كان عليها سعيدبن مسعود الثقفى والياًمن قبله

وأطار الخبر معاوية الى اصحاب عبيدالله بن عباس و اشاع فيهم صلح الحسن و تفرق اصحابه عنه فضعفت شوكتهم و قلت درجة حماسهم الى حد بعيد ثم تقدم بجيشه اليهم حتى نزل ـ الحبوضة ـ قريباً منهم

---

٢ ـ يقول الحموى فى معجم البلدان ـ مظلم ساباط موضع قرب المدائن ولا ادرى لم سمى بذلك .

١ ـ الاربيه : بالضم اصل الفخذ .

فتقدم اليه عبيدالله بالمقدمة فوجه معــاوية اليه فرقة من جيشه اضطرته على الرجوع الى معسكره فلما جن الليل ارسل معاوية رسولا اليه يقول له ـ ان الحسن قد راسلني في الصلح ، و هو مسلم الامر الي ، فان دخلت في طاعتي الان كنت متبوعا ، والا دخلت وانت تابع ، ولك إن اجبتني الان أن اعطيك الف الف درهم اعجل لك في هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة اعطيتك النصف الاخر ـ فتسلل عبيدالله من جيشه متخفيا بستــار الليل و التحق بمعاوية.

و اصبح الصباح فأفاق الجند من غفوتهم و تجمـعوا ينتـظرون عبيدالله ليصلي بهم وطال الانتظار منهم حتى كاد أن تدركهم الشمس فتحسسوا عبيدالله واذاهو في جند معاوية فتقدم سيدنا قيس فصلى بهم ثم وقف خطيباً فيهم .وهو يرى ما بهم من الارتباك و الخـذلان ـ فأخذ يشـجعهم ويهون عليهم خيانة عبيد الله و يقول لهم ايها النـاس ، ان هـذا و ابـاه واخاه لم يأتوا بيوم خير قط ، ان اباه عم رسول الله صلى الله عليه و آلـه خرج يقاتله ببدر فأسره ابو يسر كعب بن عمرو الانصاري فأتى به رسول الله فأخذ فداه فقسمه بين المسلمين ، وان اخاه ولاه على عـليه الـسلام على البصرة فسرق مال الله و مال المسلمين ، فاشترى به الحواري و زعـم ان ذلك له حلال ، وان هذا ـ يعني عبيدالله ـ ولاه ايضا على اليمن فهرب من بسر بن ارطاة و ترك ولده حتى قتلوا ، وصنع الان هذا الذى صنع ـ فدب الحماس في نفوس الجند و تنادوا مـن كل جانب ـ الحمـدلله الـذى اخرجه من بيننا انهض بنا الى عدونا ـ فتقدم بهم قيس نحو اهـل الشـام فنهض اليه بسر بن ارطاة في عشرين الف مقاتل حتى قرب منه و نادى عاليا يخذل اهل العراق و يقول ـ يا اهل العراق . هذا اميركم قد بايع

وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون انفسكم فالتفت قيس الى اصحابه وقال لهم - بلهجة ملؤها عزم وثبات - اختاروا احد اثنين ، اما القتال مع غير امام ، او تبايعون بيعة ضلال فصاحوا بتأثير لهجته - بصوت واحد - بل نقاتل بلاامام فهجم بهم على اهل الشام حتى ردهم الى مصافهم يسحق بعضهم بعضا .

ولماجن الليل بعث معاوية الى قيس يدعوه اليه و يمنيه بالسلطان و يرغبه بالمال فرد عليه يقول - لاوالله لاتلقانى الابينى و بينك السيف اوالرمح - فأيس منه وكتب اليه يشتمه و يتوعده فكتب اليه قيس يضاعف له الشتم والسباب فلما قرأ معاوية الكتاب غاضه كثيرا واراد اجابته فقال له عمرو بن العاص ، مهلا إن كاتبته اجابك بأشد من هذا وإن تركته دخل فيمادخل فيه الناس ، فحار معاوية فى أمره ولم ير الامسالمته و صلحه على كل حال فبعث اليه يقول على طاعة من تقاتل وقد بايعنى الذى اعطيته طاعتك فأبى أن يلين له قيس فأرسل له سجلا قد ختم اسفله بختمه وقال له اكتب فى هذا السجل ماشئت فهولك فاعترضه عمرو و قال لمعاوية - لا تعطه هذا وقاتله فقال على رسلك فانا لانخلص الى قتل هولاء حتى يقتلوا اعدادهم من اهل الشام فما خير العيش بعد ذلك وانى والله لا اقاتله ابدا حتى لااجد من قتاله بدا . فلما بعث اليه معاوية بذلك السجل رأى قيس أن لافائدة من القتال فى تلك الفئة القليلة التى كانت معه فأخذه واشترط له فيه ولشيعته وجنده الامان على ما أصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل فيه لنفسه شيئا من الامارة والاموال فوفى له معاوية بذلك وقفل قيس راجعا بأصحابه الى الكوفة

ساعة حرجة

ســاعة حرجة ما اشد حرجهــا ، يضيق لهــا صدر الاسلام ، وتغـص بها الشريعة المحمدية السمحاء و يشرق بها الدين الحنيف ، ولايهضمهـا القـرآن .

ساعة حرجة ، وما ابغضها من ساعة ، يمقتها الحق ، ويكرهها العدل ويمجهــا الانصاف ويشمأ زمنها الصدق ، ويقشعر منها الا باء و ينكمش لها وجه الشرف . و ترتعد من ذكر ها فرائص الكرامة والرحمة .

ساعة حرجة ، وما اقبحها من ساعة ، انها اللطخة الحالكة السوداء فى غرة الدهر والوسمة المخزية فى جبين الزمان ، واللعنة الدائمة فى فم الاجيال ؛ يرددها جيل بعد جيل !

ساعة حرجة ، ويالها من ساعة مشومـة نحسة ، ينتشر فيهـا الفساد ويخيم الظلم ويسود الباطل ، ويتغلب فيها معاويـة بن ابى سفيان عـلى المسلمين .

ساعة حرجة ، ولكنها الدهر بكامله . وربما قصر عنها الدهر ، تمر فى حياة الصحابى الجليل قيس بن سعد بن عبادة وهو فى الكوفة امام معاوية وقد تصدر المجلس واجلس الحسن عليه السلام بين يديه والناس يدخلون عليه مكر هين ويبا يعونه واحداً بعد آخر ثم يأتى دوره فيدعـوه معاويـة للبيعة ويدور بينهما الحديث .

معاوية ـ متنمرا ـ وانت يـا قيس تلجـم علـى مع من الجـم ، أمـا والله لقد كنت احب أن لا تأتينى هذا اليوم الا وقد ظفر بك ظفر من اظافيرى موجع .

قيس ـ محتدماهائجا ـ و انا والله قدكنت كارها ان اقوم فى هـذا المقام فاحييك بهذه التحية .

معاوية ـ ولم وهل انت الاحبرمن احبار اليهود .

قيس ـ وانت يا معاوية ، كنت صنما من اصنام الجاهلية ، دخلت فى الاسلام كارها وخرجت منه طائعا .

معاوية ـ ينكسر امام غضبه و يتصنع الحلم ـ اللهم غفرا مديدك .

قيس ـ ان شئت زدت وزدت .

معاوية ـ بلطف ولين ـ بايع يا قيس .

قيس ـ انى كنت لاكره مثل هذا اليوم يا معاوية

معاوية ـ مه رحمك الله .

قيس ـ لقد حرصت ان افرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا بن ابى سفيان الاماأحب .

معاوية ـ فلا يرد امر الله .

قيس ـ يقبل بوجهه الى الناس و ينادى عاليا ـ يا معشر النـاس ، لقد اعتضتم الشر من الخير و استبدلتم الذل من العز ، والـكفر من الايمـان ، فأصبحتم بعد ولاية امير المؤمنين وسيد المسلمين ، و ابـن عم رسول رب العالمين ، قدوليكم الطليق ابن الطليق ، يسومكم الخسف ، ويسير فيكم با لعسف ، فكيف تجهل ذلك انفسكم ، أم طبع الله عـلى قلوبكـم و انتم لاتعقلون .

معاوية ـ يجثو على ركبتيه ـ اقسمت عليك .

قيس ـ الى الحسن ـ افى حل انا من بيعتك .

الحسن ـ نعم .

قيس - انى اقسمت لا ان القاه الا بينى و بينه السيف او الرمح.

معاوية - يبرقـمه ويدعو بسيف ورمح فيضعهما بينهما .

قيس - متأملا .

معاوية - أتبايع يا قيس .

قيس - بلهجة متقطعة - نعم .

معاوية - يقوم من سريره ويكب على قيس ويمسح يده بيده .

قيس - مطرقا الى الارض واضعا يده على فخذه .

اصوات - من هنـا وهناك - بايع قيس . بايع قيس .

قيس - يرفع راسه رافعا صوته الى الناس - كـذبتم والله مـا بايعت

وتنتهى هذه الساعة المشومة ولكنها كيف انتهت والجـواب عند كل مؤمن أبى جليل.



عبادةٌ وتقوى

كثيرون اولئك المتزهدون المتقشفون ذووا الاسمال الصوفية البالية المخرقة و الجباه السود ، الذين تراهم ركعاً سجدا يقطعون النهار بالصوم ، و يحيون الليل بالقيام و القعود يصلون ابتغاء مرضات الناس وطلبا لما في ايديهم من متاع الحياة ، ولكنهم قليلون اولئك الذين صفت نفوسهم و خلصت من شوائب المادة فأخلصوا الله كل الاخلاص وعملوا على طلب مرضاته ، وكرسوا حياتهم فى طاعته ، واقل منهم بكثير من عرف الله حق معرفته فأطاعه و عبده لاطمعا فى جنته ولا خوفا من ناره بل لانه اهل للطاعة ومستحق للعبادة .

ولو نظرنا الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم وحققنا النظر فيهم لرأيناهم يختلفون فى عبادتهم و يتفاوتون بالنسبة اليها تفاوتا كلياً والى حد بعيد ، فكان فيهم المتقشف المتزهد الذى يعبد الناس و يطيع هواه و يصلى للدينا ، وكان فيهم المؤمن التقى الذى لاتأخذه فى الله لومة لائم ، كما ان فيهم مثل امير المؤمنين على عليه افضل الصلاة والسلام الذى تمثلت فيه الانسانية الكاملة وسمى فى افق الفضيلة فعرف الله كما يريد الله أن يعرف حق معرفته ، فكان يقول فى مناجاته ـ الهى عبدتك اذ عبدتك ، لا طمعا فى جنتك ، ولا خوفا من نارك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك .

ومرد كل هذا الاختلاف فى عبادة اصحاب رسول الله يرجع عند التحليل الى الاختلاف فى منازلهم العلمية والى مقدار تأثر نفوسهم بالاسلام وعدمه فان من الصحابة كما يشهد التاريخ من عجنت نفسه بالجاهلية عجناً حتي استحالت الي وثنية عمياء لاترى غير عبادة الاصنام وانصبغت بلونها

الداكن الاسود فلم تؤثر فيها تعاليم الاسلام ، ولم يجد التوحيد اليها من سبيل ، ولكن للسيف حرارة كاوية لايطيقها الابطال و للموت ذائقة مرة مستكرهة لاتستسيغها النفوس دعت هولاء الوثنيين الى النزول على حكم النبى ولم يجدوا بدامن الاستسلام حتى اذا أمنوا من الخوف واطمأنوا قليلا انطلقت السنتهم تعرب عما تجنه صدورهم ويسمع المسلمون اصواتهم فى خلافة عثمان تشق الفضاء تنحدر من حنجرة ابى سفيان وهو يقول لاهل بيته - يابنى امية ، تلقفوها تلقف الكرة ، فبالذى يحلف به ابو سفيان ، لا جنة ولانار ، و انما هوالملك .

ومن هنا وعلى اساس هذا الاختلاف فى العلم والتأثر بتعاليم الاسلام اختلف الصحابة فى عبادتهم وكان قيس من اشهر عبّادهم المخلصين فى عبادتهم لله وفى مقدمة الزاهدين منهم فى هذه الحياة الدنيا حتى كانت العبادة والزهد من اشهر خصائصه و ابرز مميزاته وحتى احتفل المؤرخون فى ذلك وفسحوا له فى تاريخهم مجالاواسعا ملؤه بأخبار عبادته وكرسوه بأحاديث زهده و تقواه .

يقول ابن ابى خيثمة عن معبد بن خالد - كان قيس بن سعد بن عبادة لايزال هكذا رافعا اصبعه المسبحة يدعو .

و يقول المسعودى فى مروجه - كان قيس بن سعد من الزهد والديانة و الميل الى على بالموضع العظيم ، و بلغ من خوفه لله و طاعته اياه ، انه كان يصلى فلما اهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق ، فمال عن الثعبان برأسه و سجد الى جانبه ، فتطوق الثعبان برقبته ، فلم يقصّر فى صلاته ، ولا نقّص منها شيئا حتى فرغ ، ثم اخذ

الثعبان فرمى به (١) .

ولعنا نستغنى عن التطويل بسرد ماذكره المؤخون من الأحاديث و الروايات فى عبادته و زهده بما نقرأه فى سيرته من جهاده المتواصل على عهد النبى صلى الله عليه و آله ومواقفه العظيمة على العهد العلوى فى الجمل وصفين والنهروان ثم فى ملازمته للامام تلك الملازمة الشديدة مع ماكان يبذ له معاوية له ويتملقه بالاموال والسلطان ومبادرته الى بيعة الحسن الزكى وثبوت قدمه فى ذلك المأزق الحرج فى مسكن مصرا على قتال اهل الشام . وقد زلت فيه اقدام و اقدام كثير من الناس ثم بعد ذلك كله فى خطبه و كتبه واحاديثه مع معاوية وغيره وكلها زهد وكلها تقوى ، و بالجملة فان فى كل ناحية من نواحى قيس برهان ساطع على زهده دليل واضح ما فوقه دليل على عبادته وتقواه .

على ان شيئا واحدا لو لم يكن لدينا من الشواهد غيره لكان كافيا فى اثبات زهده وتقواه ، و هو تأمير الامام له على مصر ثم على أذربيجان مع العلم بان الامام لا يولى الامن يثق بدينه وزهده وتقواه كما صرح عليه السلام بذلك مرارا و كما يشهد المؤرخون جميعاً وتدلنا عليه سيرته المقدسة .

---

١ ـ هذا الحديث رواه كثير من المؤرخين و نقله الكشى فى رجاله ـ٦٣ـ مسندا عن ابى الحسن الرضا عليه افضل الصلاة والسلام .

سخاءٌ وأُرَيحيّة

لوتصفحنا التاريخ وقلبنا النظر فى جميع ادواره ماضيها وحاضرها واستعرضنا سيرة الامم عامة على تباعد منازلهم و تباين عاداتهم و اختلاف الوانهم والسنتهم لوجدنا الامة العربية من انداها يداً و اسخاها مالا و احسنها رفادة و اكثرها جودا و كرما .

ولعل الجود من أظهر مظاهر العرب وابرز خصائصهم و ميزاتهم ، فقد شاع عنها واشتهرت به اشتهارا طغى على جميع مالها من خصائص ومميزات وعرفت به الى حد اصبحت فيه المقياس الوحيد للسخاء والميزان الصحيح للكرم ، والمثل السائر بين الناس فى الجود حتى قيل - جود عربى -

و العرب انفسهم كالامم يختلفون فى هذه الظاهرة اختلافا كلياً ويتفاوتون بالنسبة اليها شدة وضعفا ، وقد تضعف فى فرد الى حد تكاد أن تكون معدومة وما اكثر الافراد فى عصرنا هذا عصر المادة و الجشع والاحتكار ..

وللوراثة - كما يقول علماء النفس - الاثر الفعال فى تكوين غريزه السخاء و غرسها فى النفوس ، كما ان للبيئة والتربية اكبر الاثر فى تنمية هذه الغريزة وتقويتها .

وصاحبنا قيس قد اجتمت على نفسه كل هذه المؤثرات وتوفرت فيه عناصر هذه المادة ، فقد ولد فى بيت الكرم و ربى فى حجر الجود ونشأ بين اهله وعشيرته الخزرج معدن السخاء ،وقد كان ابوه سعد سيد كرماء العرب و ابن سادتها ، وصاحب الطعام فى الجاهلية و الاسلام ، وهو الذى كان

قائما على تربيته و نشئته يتعاهد فيه غريزة السخاء بالتقوية و النماء .

يقول ابن شهاب . كان قيس فى سرية فيها ابو بكر و عمر بن الخطاب فكان قيس ينفق عليهما و على غيرهما ويفضل فقال ابو بكر وعمر، ان تركنا هذا الفتى اهلك مال أبيه ، فمشيا فى الناس اليه ، و قالا له ، ان هذا لايقوم به مال ابيك امسك يدك ، فلما رجعوا الى المدينة وسمع سعد بذلك ، قام مناديا خلف النبى صلى الله عليه وسلم ، يصيح من يعذرنى من ابن ابى قحافة وابن الخطاب يبخلان على ابنى ، انا لقوم لانستطيع البخل

وبتأثير كل هذه المؤثرات كان صاحبنا قيس من مشاهير اسخياء العرب ومن ابرز كرماء اهل زمانه ، و كانت له صحفة (١) يدار بها حيث يدور ، و كان مناديه ينادى كل يوم ، هلموا الى اللحم و الثريد ..

و كان قيس مع جوده و سماحته اريحياً الى ابعد حد ، جاءته عجوز يوماً وقد كانت تالفه فاخذ يلاطفها ويسألها فى بشاشة ورفق

- كيف حالك

- كيف حال من ليس فى بيتها جرذ

- ماأحسن ما سألت ، أما والله لاكثرن جرذان بيتك - ثم التفت الى عبيده و قال لهم - املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وعسلا

ففى قوله - لاكثرن جرذان بيتك - حلاوة ولذة و فكاهة و ظرف وأريحية طافحة بانبل معانى السخاء و الكرم يطرب لها كل اريحى سخى كريم ..

و كان يوما فى اراضيه خارج المدينة و كان بينه و بين رجل عداء

---

١ - الصفحة - أعظم القصاع

شديد فأراد الرجل أن يؤذيه ويزعجه فذهب الى الناس وجعل يقول لهم ان قيساً يدعوكم ، فهرع اليه الناس من كل جانب حتى ازدحموا على داره فسمع قيس ضجيجهم فسأل غلمانه و قال لهم ، مـا بال الناس ، فأخبروه بالخبر ، فأخذ صكاكا كانت عنده بعشرين الف دينار فأعطاها لهم وقال هذه لكم توزعوها فيما بينكم ..

وروى عروة بن الزبير : قال باع قيس بن سعد بن عبادة من معاوية ارضا بتسعين الف دينار فقدم المدينة فنادى مناديه ، من اراد القرض فليأت فكثر عليه الناس ، فأقرض منها خمسين الفا و اطلق الباقى و كتب على من اقرضهم صكوكا ثم مرض بعد ذلك فقل عواده فقال لزوجته قريبة بنت ابى عتيق اخت ابى بكر ، انى ارى قلة من عادنى فى مرضى هذا ، و انى لارى ذلك من اجل مالى على الناس من القرض، أخزى الله مالا يمنع الاخوان من العيادة فبعث مناديه ينادى، من كان لقيس عليه دين فهو فى حل منه ، فما امسى ذلك اليوم حتى كسرت عتبة باب داره من كثرة العواد ..

وعن جويرة قال . كتب معاوية الى مروان أن اشتر دار كثير بن الصلت ، فجاء مروان الى كثير وأخبره بكتاب معاوية ، فـأمتنع كثير من بيع الدار فكتب مروان الى معاويه بذلك فكتب اليه معاوية يقول ، أن خذه بالمال الذى عليه ـ وكان لمعـاوية مال على كثير ـ فان جاء به ، و الا بع عليه داره ، فأرسل مروان على كثير وبلغه أمر معاوية وقال له ، انى اؤجلك ثلاثاً ، فان جئت بالمال ، والا بعت عليك دارك ، فاهتم كثير الى ابعد حد وأخذ فى جمع المـال فنقص عن المبلغ المطلوب منه ثلاثون الفا ، فقال من لى بها، ثم ذكر قيسا ، فقصده واستقرضه منه وجـاء بجميع

المال الى مروان ، فلما رآه مروان قدجاء به ممتثلا لامره ، رد عليه داره وارجع المال اليه ، فرد كثير الثلاثين الفاً على قيس ، فأبى قيس أن يقبلها وقال ، انالانعود فى شىء اعطيناه ..

وعن الهيثم بن عدى ـ قال . اختلف ثلاثة عند الكعبة فى اكرم اهل زمانهم، فقال احدهم عبدالله بن جعفر ، و قال الثانى ، قيس بن سعد بن عبادة وقال الثالث عرابة الاوسى فتنازعوا فى ذلك حتى ارتفع ضجيجهم ، فقال لهم رجل كان واقفا على نزاعهم ، فليذهب كل رجل منكم الى صاحبه الذى يزعم انه اكرم من غيره فلينظر ما يعطيه ، وليحكم على العيان ، فذهب صاحب عبدالله بن جعفر اليه فوجده قدوضع رجله فى الركاب يريد سفرا ، فاعترضه و قال له ـ يابن عم رسول الله ، ابن سبيل ومنقطع به فأقام،فأخرج رجله عبدالله من الركاب و قال ضع رجلك واستوعليها ، فهى لك بما عليها ، وخذ ما فى الحقيبة ، ولا تخدعن عن السيف ، فانه من سيوف على بن ابيطالب ، قوم على بألف دينار ، فجاء بالناقة ،بماعليها من مطارف خز ، واربعة آلاف دينار فى الحقيبة ، والسيف ومضى الثانى الى قيس بن سعد فوجده نائماً فخرجت اليه الجارية وأخذت تكلمه وتقول

ـ من تريد

ـ قيس بن سعد

ـ ماحاجتك اليه

ـ ابن سبيل ومنقطع به

ـ حاجتك أيسر من ايقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ، ما فى دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب الى مولانا فى معاطن الابل ، فخذ لك ناقة وعبدا،

واذهب راشدا ، فاخذ الدنانير والناقة والعبد وجاء الى صاحبه فلما استيقظ قيس من نومه ، اخبرته الجارية بما صنعت فارتاح كثيرا وشكرها واعتقها على صنيعها ، وقال لها ، هلا أيقظتيني حتى اعطيه مايكفيه ابدا ، فلعل الذى اعطيتيه لايقع منه موقع حاجته ، وذهب صاحب عرابة الاوسى اليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة ، وهو يتوكأ على عبدين له — وكان قد كف بصره — فوقف امامه ونادى عاليا

— يا عرابة

— يقف فى مكانه — قل

— ابن سبيل ومنقطع به

— يخلى عن العبدين ويصفق بيده اليمنى على اليسرى و يقول متأوها متأسفا أوه، أوه . والله ما اصبحت ولا امسيت ، وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئا ولكن خذ هذين العبدين

— ممتنعاً بعطف وخجل — ماكنت بالذى اقص جناحيك

— يترك العبدين ويقبل على الحائط بيده يتحسس الطريق وهو يقول — ان لم تأخذ هما فهما حران ، فان شئت فخذ ، وان شئت فاعتق

فأخذ الرجل الغلامين وأقبل على صاحبيه — يقول الهيثم — فحكموا على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن قيساً احد الاجواد ، حكم مملوكته فى ماله بغير علمه ، واستحسن فعلها ، و عتقها شكرا لها على ما فعلت ، و اجمعوا على أن اسخى الثلاثة عرابة الاوسى ، لانه جاد بجميع ما يملكه و ذلك جهد من مقل ، و ان الغير اعطى من سعة .

وللمناقشة فى هذا الاجماع مجال واسع و واسع جدا ، واى مجال اوسع للمناقشة من اجماع ثلاثة من المتسولين على اجودية عرابة مع ان المفاضلة لم تكن الا بينه وبين جارية قيس ،

على ان ما حاولوا أن يجعلوه علة لاجماعهم حين قالوا ـ لانه جاد بجميع مايملكه ـ لايصلح ان يكون شاهدا قبل أن يكون علة يبتنى عليها اجماع ، لان غريزة الجود اذا استحكمت فى النفوس ، و قوى سلطانها على صاحبها ، لايصدها فقر ، ولا يمنعها اقلال ، وهى هى دائما سواء فى الشدة والرخاء ، وعند السعة والاقلال ، و على كل حال ، فان اجود الثلاثة فى نظرى صاحبنا قيس لانه ـ كما يقولون ـ حكم مملوكته فى ماله بغير علمه واستحسن فعلها و عتقها شكرا لها على ما فعلت و ذلك كله آية اجوديته ، ولا عبرة عندى بهذا الاجماع ، لانه ليس بأول اجماع يقوم على غير موازينه الصحيحة ، و يبتنى على دعائم خاوية متلاشية ، و يقدم فيه المفضول على الفاضل .

و شاهدنا على اجودية قيس ماروا ه هشام بن عروة عن ابيه . قال لما خرج قيس بن سعد بن عبادة من مصر ، مر بأهل بيت من بلقين فنزل عندهم ، فنحر له صاحب البيت جزورا و اتاه بها ، فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبسته السماء بالمطر فى اليوم الثالث فأقام بمكانه ، فنحر له ثالثة ، ثم ان السماء اقلعت وانقطع المطر ، فلما اراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر و اربعة آلاف درهم عند امرأة صاحب البيت وقال لها ، اذا جاء صاحبك فادفعى هذه اليه ، ثم ارتحل ، فما اتت

عليه الاساءة حتى لحقه صاحب المنزل على فرسه بالرمح و معه الثياب والدراهم ، و اعترضه صائحا .

- يا هذا خذ ثيابك ودرا همك .

- انصرف ايها الرجل فانا لم نكن لنأخذها .

- باصرار - والله لتأخذنها .

- بلطف - لله ابوك ، ألم تكرمنا و تحسن ضيافتنا ، فكافأناك ، فليس بهذا بأس .

- ممتنعاً - انا لم نأخذ لقرى الاضياف ثمنا .

- لا . و لكن هي هدية منا اليك .

- والله لا آخذها ما انا ببايع ضيافتي ابدا .

- بتوسل - نعم فخذها .

- محتدما - والله لتأخذنها ، اولا نفذن الرمح بين جنبيك .

- يصيح بعبيده - و يحكم خذوها - ثم يلتفت الى الرجل ويقول - أما اذا أبيت أن تأخذ ها فوالله ما فضلني رجل من العرب غيرك .

وهو قسم عظيم قلماكان يحلف به صاحبنا الزاهد التقي يدلنا على صدق مدعاه وصحة مايقول ومما يروى عن سماحة قيس ايضا وكرمه مارواه المقريزي في امتاع الاسماع . قال - بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عامر بن عبدالله الجراح على ثلثمائة رجل الى حي من جهينة على خمس اميال من المدينة فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى إن كانوا ليقتسمون التمرة الواحدة ، وكانوا يأكلون - الخبط - ١ - حتى ضعفوا الى حد

(١) - الخبط محركة : ورق ينفض بالمخابط و يجفف و يطحن ويخلط بدقيق او غيره و يوخف بالماء : وكل ورق مخبوط .

لم يستطيعوا من الحركة فاشترى قيس بن سعد ـ وكان معهم ـ خمس جزائر(١) كل جزور بو سقين ـ٢ـ من تمر ، يقوم بها اذ ارجع و نحر ها لهم فى خمسة ايام فى كل يوم واحدة حتى وجدوا حوتا قد القاه البحر فأكلوا منه

وعن جابر ـ قال خرجنا فى بعث كان عليهم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم تسع ركائب ، فلما رجعنا الى المدينة أخبر النبى بذلك فسر كثيرا و قال ـ ان الجود من شيمة اهل ذلك البيت .

و ذكر المبرد فى كامله فقال ـ لما اراد أن يتوجه سعد بن عبادة الى حوران قسم ماله بين ولده ، وكان له حمل لم يعلم به ، فلما ولد ، مشى ابو بكر وعمر بن الخطاب الى قيس ، وسألاه أن ينقض ما صنع ابوه سعد من تلك القسمة و يجعل للمولود نصيباً منها ، فقال قيس ، نصيبى للمولود ، ولا اغير ما صنع ابى ولا انقضه .

وعن المقريزى قال ـ لما حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع كان زاده على راحلة ابى بكر حتى اذا ما كان فى بعض الطريق ضلت الراحلة بما عليها من زاد و متاع و بقى النبى بلا زاد فى الطريق ، فلما سمع قيس اسرع هو وابوه سعد بزاملة ـ٣ـ فادركاه وقد وجد ضالته فقال له سعد يا رسول الله بلغنا ان زاملتك قد ضلت وهذه زامله مكانها ، فقال النبى قد جاء الله بزاملتنا ، فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما .

وقال جابر ـ لما رجع قيس الى المدينة بعد صلح الحسن رجع معه

---

(١) الجزائر ، جمع جزور : وهو البعير او خاص بالناقة المجذورة وما يذبح من الشاء :

(٢) الوسق بالفتح : ستون صاعا وقيل حمل بعير ، و قيل الوسق عند اهل الحجاز ثلاثمائة وعشرون رطلا وعند اهل العراق اربعمائة وثمانون رطلا.

(٣) الزاملة التى يحمل عليها من الابل و غيرها .

كثير من اصحابه فكان ينفق عليهما جميعا الى أن وصلوا .

وبالاخير انه كان سخياً بكل مافى لفظ السخاء من معنى وكان يقول فى دعائه . اللهم ارزقنى حمدا ومجدا ، فانه لاحمد الا بفعال ، ولامجد الا بمال اللهم وسع على ، فان القليل لايسعنى ولا اسعه .



ولاء و اخلاص

وماذا نستطيع ان نكتب في هذا الفصل عن ولاء صاحبنا قيس واخلاصه للعترة الطاهرة اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وهل في وسع الباحث أن يستغرق هذه الناحية من نواحي سيد الخزرج ويلم بها في بحثه من جميع اطرافها تمام الالمام ، وماذا يقول القائل في رجل كرس حياته في خدمة النبي واهل بيته عليه وعليهم افضل التحية والسلام وأنفق الشطر الوافر من ايامه مجاهداً في ساحات القتال يذب عنهم ويناضل من اجلهم وكان حتى النفس الاخير عضوا فعالا يسعى متفانيا على حبهم و ولائهم ، وحركة دائمة يجد في سبيل اعلاء كلمتهم ويجتهد ناصحا مخلصا صادقا في نصحه و اخلاصه .

يقول ابن ابي الحديد كان قيس بن سعد من كبار شيعة امير المؤمنين علي عليه السلام قائلا بمحبته وولائه ، شهد معه حروبه كلها ، وكان مع الحسن عليه السلام ، وكان طالبي الرأي مخلصا في اعتقاده ووده (١)

(١) - اتبع ابن ابي الحديد كلماته هذه يقول : - وأكد ذلك عنده فوات الامر من أبيه ، وما نيل يوم السقيفة وبعده منه ، فوجد من ذلك في نفسه ، وأضمره حتى تمكن من اظهاره في خلافة امير المؤمنين عليه السلام ، وكما قيل عدو عدوك صديق لك » .

اضحوكة من اضاحيك الدهر ، لا يسعني معها الا أن اقهقه و اقهقه عاليا جدا وطالما اضحكنا بعض المؤرخين بتعليقاتهم وحواشيهم ، وقبل أن أناقش ابن ابي الحديد الحساب على هذه الفلسفة الباردة أحب ان اسئله اولا من اين علم ان امير المؤمنين عدو لابي بكر ، وماهي الاسباب التي أوجبت بينهما هذا العداء و هل يجوز لاحد أن يعادي امام زمانه ، ولماذا يمقت - اذا جاز ذلك - ويعادي هو من عادى ابا بكر وعمر واذا لم يجز ذلك فأيهما

ولنضرب صفحاعمايقوله المؤرخون في ولاء صاحبنا لاهل البيت واخلاصه و النستدل بمواقفه و احاديثه مع معاوية و غيره فانها اوضح دليل واجلى برهان .

روى ابن ابى الحديد (١) قال اجتمع معاوية و قيس مرة بعد صلح الحسن عليه السلام فأخذ معاوية يحط من كرامة الامام علي عليه السلام عند قيس ويقول له بخبث - رحم الله اباحسن، فلقد كان هشابشا ذافكاهة ففهم قيس ماراد معاوية وساءه ذلك الى أبعد حد وأجابة يقول نعم كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يمزح ويبسم الى اصحابه ، واراك تسر حسواً في ارتغاء رفعه ، وتعيبه بذلك، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة و الطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدمسه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، ليس كما يها بك طغام أهل الشام -

---

الحق في ذلك العداء ابوبكر او امير المؤمنين ومن منهما على صواب و كلاهما يعترف لهما بالخلافة ويسلم بانهما امامان ، سلسلة من الاستفهامات لو نشر ابن ابى الحديد لوقف امامها اخرسامبهوتا حائرا .

لا يا استاذ لم يكن صاحب النبي قيس بهذه الدرجة من انحطاط المبدأ وتدهورالعقيدة بحيث يعادي ويوالي على حساب مصلحته الشخصية وانت تروى فضائله و مناقبه و تعدد مواقفه المشرفة في ساحات الجهاد ، واين انت عماروية في كتابك شرح النهج -٢-١٨- من استياء قيس من ابيه سعد حين ذكر في علي عن النبي ما يوجب ولايته وقوله له (انت سمعت هذا من رسول الله ويقول اصحابك منا امير ومنكم امير لا كلمتك من رأسي كلمة واحدة) فما هذا التناقض. لا . لا لم يكن قيس منافقا ولا دجالا ، و انما تبع الحق حين والى امير المؤمنين واخلص له وتبعه. نعم هو الحق لاغير والحق احق أن يتبع لو كنتم تعقلون .

(١) - في شرح نهج البلاغة -١-٨- طبع مصر .

وعن سليم وعمر ابن ابى سلمة قالا : قدم معاوية حاجا فى خلافته المدينة بعد ما قتل امير المؤمنين صلوات الله عليه و صالح الحسن عليه السلام ، فاستقبله اهل المدينة ، فنظر فاذا الذى استقبله من قريش اكثر من الانصار ، فسأل عن ذلك فقيل انهم محتاجون ليست لهم دوات فالتفت الى قيس و اخذ يكلمه بشىء من الشدة و العتاب و يقول .

ـ يا معشر الانصار مالكم لاتستقبلونى مع اخوانكم من قريش .

ـ معتذرا ـ أقعدنا أن لم تكن لنا دواب .

ـ مستهزئاً ـ فاين النواضح .

ـ محتدماً ـ أفنيناها يوم بدر ، ويوم احد ، ومابعدهما فى مشاهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، حين ضربناك وأباك على الاسلام حتى ظهر أمر الله وانتم كارهون .

ـ اللهم غفرا .

ـ أما إن رسول الله قال . سترون بعدى اثرة، أتعيرنا يا معاوية بنواضحنا : والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وانتم جاهدون على اطفاء نور الله ،وأن تكون كلمة الشيطان هى العليا ، ثم دخلت انت وابوك كرها فى الاسلام الذى ضربناكم عليه .

ـ يحور الحديث ـ كأنك تمن علينا بنصرتكم ايانا ، فلله ولقريش بذلك المن و التطول ، ألستم تمنون علينا يامعشر الانصار بنصرتكم لرسول الله وهو من قريش ، وهو ابن عمنا ومنا، فلنا المن و الطول أن جعلكم الله انصارنا واتباعنا فهداكم بنا .

ـ ان الله بعث محمداً صلى الله عليه و آله وسلم رحمة للعالمين فبعثه الى الناس كافة ، و الى الجن والانس ، والاحمر والاسود والابيض ، اختاره

لنبوته ، و اختصه برسالته ، فكان اول من صدقه و آمن به ابن عمه علي ابن ابي طالب عليه السلام ، و ابوطالب يذب عنه و يمنعه ويحول بين كفار قريش و بين أن يردعوه أو يؤذوه ، فأمره أن يبلغ رسالة ربه ، فلم يزل ممنوعا من الضيم و الاذى حتى مات عمه ابوطالب ، فأمر ابنه بمؤازرته فوازره و نصره وجعل نفسه دونه في كل شديدة و كل ضيق و كل خوف واختص الله بذلك عليا عليه السلام من بين قريش ، و اكرمه من بين جميع العرب و العجم ، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم جمع جميع بني عبد المطلب ، وهم يومئذ اربعون رجلا ، فدعاهم رسول الله فقال ايكم ينتدب أن يكون اخي ووزيري ووصيي وخليفتي في امتي وولي كل مؤمن بعدي ، فسكت القوم حتى اعادها ثلاثا ، فقال علي عليه السلام انا يارسول الله صلى الله عليك ، فوضع راسه في حجره وبصق في فيه ،وقال اللهم املا جوفه علما و فهما وحكما، ثم قال لابي طالب، اسمع الان لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى ، و آخى صلى الله عليه و آله وسلم بين علي و بين نفسه - ثم اخذ قيس في سرد فضائل الامام وجعل يعدد مناقبه ويحتج بها ويذكر صلحاء قريش الى أن قال — ومنهم جعفر ابن ابي طالب، الطيار في الجنة ، يطير بجناحين اختصه الله بذلك من بين الناس ، ومنهم حمزة سيد الشهداء ، و منهم فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ، فاذا وضعت من قريش رسول الله و اهل بيته وعترته الطيبين ، فنحن والله خير منكم يا معشر قريش ،وأحب الى الله ورسوله والى اهل بيته منكم ولقد مات رسول الله ولعمري مالا حدمن الانصار ولالقريش ، ولا لاحدمن العرب و العجم في الخلافة حق مع علي و ولده من بعده.

- بغضب شديد - يا ابن سعد عمن اخذت هذا ، وعمن رويته ، وعمن سمعته

وأخذته ، ابوك اخبرك بذلك وعنه اخذته

ـ سمعته وأخذته ممن هوخير من ابى و اعظم على حقا من ابى

ـ باستغراب ـ من

ـ على بن ابى طالب عليه السلام عالم هذه الامة و صديقها الذى انزل الله فيه ـ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ـ وهكذا أخذ يستدل قيس على علم الامام و فضله فلم يدع آية نزلت فى اميرالمؤمنين الا ذكرها ـ .

ـ يرد عليه ـ فان صديقها ابو بكر ؟ و فاروقها عمرو الذى عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام .

ـ أحق هذه الاسماء و أولى بها الذى انزل الله فيه ـ افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ـ والذى نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم فقال ـ من كنت اولى به من نفسه فعلى اولى به من نفسه ـ وفى غزوة تبوك قال له ـ انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى ثم جعل يذكر لمعاوية ما قاله النبى فى حق امير المؤمنين حتى غضب معاوية غضبا شديدا و تنكر له ونادى مناوية وكتب بذلك نسخة واحدة الى عماله ـ ألا برئت الذمة ممن روى حديثا فى مناقب على واهل بيته ثم أمر بسب الامام على المنابر ولعنه (١)

(١) ـ يقولون ان معاوية كان سياسيا ماهرا . فاين سياسته يا ناس وهل حطم عرش بنى اميه غير سب الامام ونحوه ، وانه إن اقام معاوية بهذا ملكه مدة حياته فقد هدم ملك ابنائه وذريته وحطمه من اصله و اساسه وخلف لهم فى الناس قلوباً تتميز عليهم غيظاً وبغضاً ، وماذا نفعه سب الامام ولعنه على المنابر وهل تستتر الشمس اذا اطبق الاحمق عينيه . ولو نشر

وعن جابر بن عبدالله الانصارى وعبدالله بن العباس فى حديث طويل يقول فيه قيس لابى بكر ـ حين شتم ابوبكر اباه وعيره بولايته للامام ـ يابن ابى قحافة ان لك عندى جوابا حميا بلسان طلق و قلب جرى لولا البيعة ، والله لئن بايعتك بيدى لن يبـايعك قلبى ولالسانى ، ولا حجة فى ـ على ـ بعد يوم الغدير ، ولا كانت بيعتى لك الى كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا . اقول قولى هذا غير هائب لك ، ولا خائف من معرتك و لو سمعت منك القول ابدا لما فتح لك منى صـلاح ، انـكان ابى رام الخلافة فحـقيق ان يرومها بعد من ذكرته ـ يعنى الامام ـ لانه رجل لا يقـطع باللـسان ولا يغمز جانبه كغمز اللينة . صنديد سمك منيف ذعر بـاذخ اشـوس فـقال

معاوية اليوم ورأى ماللامام من العظمة والجلالة فـى نفـوس الناس بحيث يحج الى مرقده ـ ذلك المرقد العظيم الذى يناطح السحاب بقبابه الذهبية ـ ويطوف به فى كل عام ملايين و ملايين من الناس و كلهم شوق اليه و كلهم ولاء واخلاص لصاحبه . نعم لونشر معاوية ورأى مرقدالامام الزاهر ثم نظر الى حفرته هو الموحشة المظلمة الخربة وقدصيرها اهل الشام شيعته المخلصين مجمعا تسعى اليها الاقذار من كل حدب وصوب و مزبلة تتزاحم حولهـا المكانس لتضيف الى اوساخها اوساخ الشوارع و البيوت ، لو نظر معاويـة الى كل ذلك لتقطع من الحسرات و لعلم انه اخطأ حين امر بسب الامـام و لعنه خطأ فاحشا ابى ان يغفره له الدهر مهما تتابعت القرون ولاجيال وما اجمل ما قـاله الاستاذ السماوى العلامة المفضال الشيخ عبدالحميد شيخ الادب حين يقول فى قصيدته العامرة التى نظمها خصيصاً ليوم الغدير .

فهذا على والاهازيج باسمـه ... تشق الفضا النائى فهاتوا معاويا
اعيدوا ابن هند إن وجدتم عضامه ... رفاتـا والأ فانشروه مـخازيـا

بخلافك والله يا ايتها النعجة العرجاء والديك النافش لاعن اصل صميم ولاعن حسب كريم ، ولا عرق قديم ، وايم الله لئن عاودتنى فى أبى لالجمنك بلجام يمج فوك منه دما ، فدعنا نخوض فى عمايتك ، و نتردى فى غوايتك على معرفة منا للحق و اتباع الباطل ، واما قولك ان عليا امامى ، ما انكر امامته ، ولا اعدل عن ولايته وكيف انقض وقد اعطيت الله عهدا بامامته ، وولايته يسألنى عنه ، فأنا ان القى الله بنقض بيعتك احب الى من نقض عهده و عهد رسوله وعهد وصيه و خليله ، و ما انت الا امير قومك ، إن شاؤ اتركوك و إن شاؤا عزلوك ،فتب الى الله مما اجترمته ، و تنصل اليه مما ارتكبته وسلم الامر الى من هواولى منك بنفسك ، فقد ركبت عظيما بولايتك دونه ، و جلوسك فى موضعه، وتسميتك باسمه، وكأنك بالقليل من دنياك ، وقدانقشع عنك كماينقشع السحاب ، وتعلم اى الفريقين شرمكانا واضعف جندا ، واما تعييرك اياى بانه مولاى ، هو والله مولاى و مولاك ومولى المؤمنين اجمعين» الخبر.

وهكذا كان قيس دائما يعلن بولائه للعترة الطاهرة ويصطدم من اجلها اعنف الاصطدام وكان جريئاً فى مبدأه الى ابعد حدلاتأخذه فى الله لومة لائم ولايخاف من عنت الظالمين ، دخل مرة على معاوية بعد صلح الحسن عليه السلام فى جماعة من الانصار فقال لهم معاوية ،يا معشر الانصار بم تطلبون ماقبلى فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على ، ولفللتم حدى يوم صفين حتى رايت المنايا تلظى فى اسنتكم ، وهجوتمونى فى اسلامى باشد من وقع الاسنة حتى اذا اقام الله ماحاولتم ميله ،قلتم ارع وصية رسول

الله صلى الله عليه هيهات يأبى الحقين العذرة (١) فالتفت اليه قيس وقال له - نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله ، لا بما تمت به اليك الاحزاب و أما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه، واما استقامة الامر لك فعلى كره منا ، واما فلنا حدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعة الله طاعته ،و أما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده ، و اما قولك : يأبى الحقين العذرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية ، فدونك امرك ، فانما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فبيضى واصفرى (٢)

فقال معاوية مموها ، ارفعوا حوائجكم .

وكان قيس من رواة غدير خم و من شعرائه البارزين و له قصيدة عامرة فى ذلك لم نعثر الا على ابيات قليلة منها نختم بها هذا الفصل وهى .

قلت لما بغى العدو علينا	حسبنا ربنا و نعم الوكيل
حسبنا ربنا الذى فتح البصـ	ـرة بالامس والحديث طويل

---

(١) - وفى بعض النسخ - يأبى الحقير الغدرة كما ان فى بعضها الاخر ايضاً ابى الخبير المعذر واصل المثل كما نعرفه - يأبى الحقين العذرة - و ذلك ان رجلا نزل بقوم فاستسقاهم لبناً فاعتلوا عليه و زعموا أن لا لبن عندهم ، وكان اللبن امامه يراه محقونا فى وطاب فقال كلمته تلك واشتهرت حتى صارت مثلا يضرب للكاذب الذى يعتذر بشىء ولا عذر له فيه .

(٢) - جاء فى بعض النسخ - فبيضى واصفرى - و ما اثبتناه أصح

و علي إماماً منا و امام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولا ه فهذا مولاه خطب جليل
انما قاله النبي على الامة حتم ما فيه قال و قيل



دهاء وتدبير

من مجموع ما قرأناه في هذه السيرة ومن تتبع الحوادث التاريخية رأينا ان لصاحبنا قيس شخصية سياسية لامعة ، فذة في سياستها ، فذة في آرائها وافكارها ، عبقرية بأدق ما للعبقرية من معنى ، تفيض دهاء و تدبيرا و تتفجر حنكة وخبرا .

وان في الحوادث السياسية التي خاض غمارها قيس لابرز دليل على هذه الشخصية الممتازة التي برهنت بنظرياتها على علو كعبها السياسي و انها في طليعة قادة الرأى العام الاسلامى و من الدهاء و التدبير بحيث لايرقى اليها مكر الماكرين .

يقول الحلبي في سيرته : من وقف على ما وقع بين قيس و معاوية لرأى العجب من وفور عقل قيس .

ويقول ابن شهاب : كانوا يعدون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط يقال لهم ذووا رأى العرب و مكيدتهم ، قيس بن سعد بن عبادة ، و معاوية بن ابى سفيان ، و عمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، و عبدالله بن بديل بن ورقاء .

و يقول ابن كثير ـ بعد كلام طويل ـ ولاه علي نيابة مصر وكان يقاوم بدهائه وخديعته و سياسته لمعاوية وعمرو بن العاص .

ولعل خير شاهد على سمو مكانة قيس السياسية قول عدوه معاوية ابن ابى سفيان في كتابه الذى كتبه الى مروان بن الحكم وحسان بن ثابت حين ذهبا الى قيس في المدينة بعد رجوعه من مصر و خوفاه حتى خرج الى الكوفة و التحق بالامام كتب اليهما بغيظ يقول ـ امدد تما عليا بقيس ورأيه و مكايدته ، فوالله لو انكما امددتماه بمأة الف مقاتل ماكان ذلك

بأغيظ الى من اخراجكما قيسا اليه - و هو قول عظيم فيه شهادة ثمينة لها قيمتها المعنوية عند السياسيين .

والحق انه كان آية من آيات السياسة الاسلامية وقد لعب ادوارا مهمة جدا على شاشة الحوادث وكان له فى ايام المحنة الاسلامية صولات سياسية وجولات كلها فى صالح الدين لم يرجع منها الا ظافرا ، وكان يقول : لولا انى سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقول المكر والخديعة فى النار لكنت من امكر هذه الامة وفى حديث آخر قال : لولا الاسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب .

على انا لو اردنا أن نقف موقف التحليل من قضاياه السياسية لاغنتنا قضية واحدة عن جميع هذه الشواهد ولكنا و قفنا بأنفسنا على خطارة مكانته السياسية وسمو آرائه وتفكيره ، وهى قضية اشارته على الامام فى عزل معاوية عن الشام مع ان الكثير من اصحابه خالفوه فى ذلك وأصروا على بقائه .

وقضية عزل معاوية عن الشام مشكلة من مشاكل القضايا التاريخية ، ومن امهات المؤاخذ التى اخذها السياسيون على الامام وطالما خبط الكتاب فيها خبط عشواء وخرجوا الى قرائهم يناقض بعضهم بعضاً بين مصوب ومخطأ للامام من دون أن يكون لديهم ما يصلح للتدليل على هذا الصواب وذلك الخطأ

وقبل أن نشرع فى تحليل هذه القضية يجب أن نلفت نظر القارى الكريم اولا الى ان امارة معاوية على الشام بالغض عن وجهتها الدينية هى من احدى المآخذ التى اخذت على عثمان وفى ضمن ماطلبه المسلمون منه حين طلبوا منه أن يعزل عماله عنهم حتى ثاروا من اجلها فيما ثاروا من اجله وقتلوه ثم ان الامام كان كثيرا ما يعلن للناس عقيدته فى معاوية ويفسقه عندهم وطالما الح على عثمان فى عزله و اصطدم معه من اجله و المسلمون بمرأى من كل ذلك ومسمع اضف الى هاتين الفقرتين دهاء معاوية و خبثه و تسلطه على نفوس اهل الشام ذلك التسلط الغريب ومتى تركه الامام عليهم اثار على نفسه

الفتنه وهيج اصحابه عليه وهم انفسهم هم الذين ثاروا على عثمان وقتلوه من قبل لذلك، ثم كذب نفسه فيما كان يقوله في معاوية اولا، وزكاه لاهل الشام تزكية تجعل لمعاوية الحجة البالغة عليه فيما اذا خالفه بعد ذلك و امتنع عن طاعته .

على ان معاوية بنفسيته الاموية الشريرة و بما جبل عليه من الفسق و الفجور ، و بما تعود على عهد عمر و عثمان من النزق والبذخ و النعيم و الترف لايستطيع أن يرضخ للامام ليقف له بالمرصاد ويحاسبه على كل شيء حساب ملك الموت ، لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها عليه ، و اين معاوية و ابن الامام ، فمعاويه يريد ان يتأمر على المسلمين ويتأمر عليهم فقط ويلعب بأموالهم كيفما احب ويتطلبه منه الهوى والاستهتار ، والامام يريد أن يحمله عن الحق ويسير به في الطريق العدل السوى و أن لايزيد نصيبه على نصيب صعاليك المسلمين وفقراء الناس والا فالحديدة حاضرة يحميها له كما احماها لعقيل أخيه ، فاين هذا من ذاك ، بون شاسع بين الارادتين ، والاختلاف شديد بين المذهبين ، والمسافة بعيدة بين الرجلين ، والا تفاق بين معاوية والامام مستحيل جدا ، ولكن معاوية اموى خبيث اشاع في الناس انه مستعد للطاعة إن اقره الامام على الشام ، فانخدع ابن عباس و انخدع غيره فأصروا على الامام باقراره ، ولم ينخدع الامام كما انه لم ينخدع صاحبنا قيس والتفت الى ماينويه معاوية، وانه يريد أن يشغل الامام بنفسه ويهيج عليه اصحابه باقراره على الشام ثم يثور هو بعد ذلك وقد استعد في هذه المدة كلها و يتناول الخلافة لقمة سائغة لايستطيع الامام لضعفه أن يصده عنها ومن هنا كان جواب الامام لقيس حين اشار عليه بعزل معاوية جوابا كله اعجاب وتقدير .

هذا وكل آراء صاحبنا السياسية اهل للاعجاب وكل افكاره وتدابيره مورد للتقدير ولو كان يسعنا المجال لوقفنا عند كل قضية من قضاياه ولكننا نكتفي بما ذكرناه، على ان قضاياه متشابهة تقريبا والوقوف عند بعضها وقوف عندها جميعا .

وفات و تأبین

وهكذا يفنى هذا الصحابى الجليل حياته وينفق اكثر ايامه تتقاذفه الوقائع مجاهدا فى ساحات القتال يذب عن الاسلام و يحمى حمى الدين حتى استقر اخيرا فى المدينة رجع اليها من الكوفة بعد صلح الحسن عليه السلام ولم يزل مقبلا على ربه دائبا على عبادته حتى اسلم نفسه الاخير فى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر خلافة معاوية لستين سنة خلون من الهجرة .

فغى ذمة الله يا سيد الخزرج .

وفى ذمة التاريخ يا بطل المسلمين و فارسها المغوار .

عظيم عند الله مالا قيت فى حياتك من العناء و التعب فى سبيل توحيده وعظيم عند الله جهادك المتواصل فى الدفاع عن دينه ، فابشر بروحه وريحانه وفز بجنته ورضوانه .

ثم هانئا فى جوار خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقر عينا بحماه ، فما اكرم وأجل جارك ، و ما احمى واحفظ ذمارك .

تمضى الايام ، و تنقضى الشهور ، و تفنى السنون ، وتنطوى الاجيال مدبرة جيل بعد جيل ، وانت حى خالد عند ربك ترزق ، تردد اسمك البطولة ، ويتغنى بذكرك الثبات ، ويفخر بك الاباء و الكرم ويحتفل التاريخ بمواقفك المشرفة ، وينشرها على الناس متحديا فتخشع لها القلوب ، وتركع من عظمتها الرؤس خاضعه .

انت فى حياتك كما انت بعد وفاتك ، لم يغيرك الموت مثلما لم تغيرك الحياة ، كنت بطلا تجاهد من اجل الفضيلة و تدعو الى مكارم الاخلاق

و انت الان كذلك فهذه سيرتك تردد صداك و تدعوا الناس الى ماكنت تدعو هم اليه و تحثهم الى مافيه صلاحهم و الى الخير و السداد . فسلام عليك حيا، وسلام عليك ميتا ، وسلام عليك يوم تبعث حيا .

مصادر الكتاب

امتاع الاسماع	للمقريزى
الامم والملوك	للطبرى
الاعلام	للزركلى
الاخبار الطوال	للدينورى
ارشاد القلوب	للديلمى
الامالى	للطوسى
الاصابة	لابن حجر
الاستيعاب	لابن عبدالبر
اسدالغابة	لابن الاثير
الامامةوالسياسة	لابن قتيبة
لبداية و النهاية	لابن كثير
البيان و التبيين	للجاحظ
البحار	للمجلسى
التذكرة	لسبط ابن الجوزى
تاريخ بغداد	للخطيب البغدادى
تنقيح المقال	للمامقانى
تاريخ اليعقوبى	لليعقوبى
الخطط	المقريزى
السقيفة	اسليم بن قيس
شرح نهج البلاغه	لابن ابى الحديد
العقد الفريد	لابن عبدربه
الغرر	للوطواط
الغدير	للامينى
الكامل	لابن الاثير
الكامل فى الادب	للمبرد
كنز الفوائد	الكراجكى
المصابيح	للبغوى
المخلاة	للبهائى
مروج الذهب	للمسعودى
مالك الاشتر	للمؤلف
النصرة الى حرب البصرة	للمفيد
وقعةصفين	لنصر بن مزاحم
وفاء الوفا	للسنهورى

جدول الخطأ و الصواب

حاولنا جهدنا ان نتخلص من هذه الصفحة ولكن مطابع ايران أبت الأان تثبتها

صفحه	سطر	الخطأ	الصواب
٢	١٢	مقبلوا	مقبلى
٣٣	٢	القبيلى	القبلى
٣٣	١٨	القبيلية	القبلية
٦٠	٨	الى الام	الى الامام
٦٤	١٤	ابو عمرو	ابى عمرو
٦٦	١٥	يفعلوا	يفعلون
٦٩	٢	ذوو	ذوى
٧٢	١١	معة	معه
٧٢	١٦	المجاجرين	المهاجرين
٧٣	١٤	خير حافل	خير حاف
٧٤	٣	قلسنوة	قلنسوة
٧٦	١	ضافرا	ظافرا
٨٢	١٠	ربيع الانوار	ربيع الابرار : وقد تكررت هذه الكلمة في التراجم
١٠٤	٢٢	ليغبن	ليغلبن
١٠٦	٢٢	أنسبت	أنسب
١٢٣	١٩	ابو ايوب	ابا ايوب
١٢٣	١٩	ابو قتادة	ابا قتادة
١٢٤	٢٠	قيس	قيسا